Ibn-Zunbul, Ahmad Ibn-Alī

Kitāb Tārīh wāqiat as-sultān al-ġūrī maa Salīm al-Umānī - BSB Cod. arab. 411

[S.l.] 1625 [1034 H]

باسه طون انكه لون اصطه تيه
بروضروعه كتريع ابوسطولون ايضو ده كلن
أي اءاي بندتس مدطائيس ته اوطوكو
بجي ايصه تربزفيا ايسطوصوتنيه اياصح





١٠

٢٥

تاريخ مصر لاحمد شلبي

دخل بملك العبد الفقير الفس بولس خياط الرومي

٨

نمرة تاسع عشر

١٩

٥٩

[illegible]

كتاب تاريخ وقعة الغوري
هو والسلطان سليم وما جري
له مع الجراكسه والملك طومان
باي من الحرب الشديد والطعن
المزيد بوجود خاير بك
والغزالي على التمام
والكمال والحمد
لله وحده
على كل حا
ل تمم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على النبي محمد وصحبه وآله وبعد فقد سال الفقير الى الله تعالى الشيخ احمد الزنبلي الرمال التوفيق في التيسير ان يولف سيرة الملك العادل الاشرف السلطان الغوري مع الملك السلطان سليم خان هو واجراكسه وما جرى لهم من الكلام العجيب بعد الف صلاة ترضي محمد الحبيب يقول ذكر خروج السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري رحمه الله تعالى من مصر لملاقات السلطان سليم بمرج دابق فكان خروجه من مصر في يوم السبت سادس عشر ربيع الاخر سنة واثنين وعشرين وتسعمايه وكان امراء دولته في ذلك العهد منهم سودون العجمي امير كبير وارکماس امير سلاح

امير

2

امير مجلس وسيدى محمد بن السلطان الغوري
امير اخور كبير سودون الدوادارى راس
نوبة النوب انس باى حاجب الحجاب قانصوه
بن سلطان جركس تمرباى نايب القلعة قانصوه
كرت طومان باى دوادار كبير تنم الزردكاش
جان بلاط ابو اترسين تانى بك الجمال زندار
يزبك المحلى دمرداش البناشق وابرك راس الجلبان
واقباى الطويل وسيرسن بن عم السلطان
وكرتبيه الوالى ابو المفاخر والمعالى والا مير
علان راس العرب اضه والسبعان والامير
قانصوه الفاجر والامير قانصوه سنه والامير
قانصوه رحله هولا الاربعه وعشرين امير مكه
اصحاب الطبلخانات فى مصرلهم الامر والنهي
والحكم مثل السلطان وكان كرتبيه الوالى اعظمهم
حرمه واقوهم كلمه شجاعته وفروسيته

ومخاصمته للشجعان والابطال في حومة
الميدان وسياتي ذكر طرف مما كانوا عليه رحمهم
الله تعالي ذكر نواب البلاد التي كانت في حكمهم
فاول النواب نايب قطيه كان قانصوه رحله
واما القدس وغزه والرمله وما هناك من
الضياع على جميع ذلك الامير دولت باي
واما صفد وطرابلس الشام فسرون وصبيه
واعمالهم فكان النايب عليهم الامير عتراز
الاترمي واما دمشق الشام وكان نايبها
سيباي واما حمص فكان نايبها اضلان
بن براق واما حماه كان نايبها قنبردي
الغزالي لا لقاه الله خيرا واما حلب كان
نايبها الامير خايربك واما البيره كان نايبها
جان بردي وعنتاب كان نايبها يونس بن
اقبيه واما قلعة الروم فكان نايبها ابي زيد
وكانت

وكانت ادنه وجميع بلاد مرعش واعمالها
الى ديار بكر يحكم على دولات والى حين ينتهي
الى ناحية الروم يحكم محمود بن رمضان
وكان على دولات يحمل المال الى مصر
من جميع حكمه وبلاده وهو الذي كان سببا
الفتنة بين السلطان سليم وبين الغوري
وخيربك ايضا الى ان حصل ما حصل
من القتل بين الفريقين ان ربك يفصل
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ان الارض لله يورثها من يشا من عباده
والعاقبة للمتقين
وكانت اسيوط مع ابن سناي الاترجي والفيوم
والبهنسا كاشفهم جانم الاترجيا ومنوف
كاشفها قانصوه العادلي ودمنهور مع يونس
العبدري والمحلة مع اليانس وكان مشهورا

بالظلم والثغور المحروسه وكان بابيها باي اقدر
قضابردي ودمياط كان نايبها علي باي واما
شايخ العربان في الصعيد الاعلى فكان عمر
علي جرجه واولاد الاحدب في الزرق وشيخ
غزاله حماد بن خير بالجيزه والامير حجازي
بن بغداد بالمنوفيه وشيخ البحيره كان الجويلي
واما الغربيه كان في نواحي سمنود حسن بن
مرعي وكانوا على هذا الترتيب في زمن الغوري
رحمة الله عليهم اجمعين قال الراوي وكان
في الترسيه احمد بن بقر وكان قليل الخير سيرته
لئيمه ونرجع الى خروج السلطان الغوري
من مصر فلما وصل الى غزه اقام بها ثلاثه
ايام فشكت الرعايا للسلطان من نايب غزه
فعزله ورسم عليه وعنفه على فعله وظلمه
وزجره غاية الزجر وبعد ذلك رده اليها
لكونه

لكونه ابن عمه فورد عليه السلطان وهو
مقيم بغزه مكاتبه يذكر فيها الذي يعرضه المملوك
على المسامع العاليه اعلاها الله تعالي واداها
ان العبد سمع ان السلطان يريد السفر الى
قتال ابن عثمان وان المملوك يقوم بهذا الامر
ويكون مولانا السلطان مقيم بمصر فيمد عبد
المملوك بالعساكر المنصوره الذي نعلم به
مولانا السلطان ان خاير بك ملاحي علينا
ومكاتبته لا تنقطع من عند ابن عثمان
في كل حين فرد عليه السلطان هاانحن قد
جينا بانفسنا ثم امر بالرحيل بالجيوش
والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر والبحر
الناظر فرسان كالعقبان الكواسر ولكن
اذا نزل القضا عمى البصر فالقى الله تعالى
فيهم الفتنه فكان كل من الاعيان يتمني

فلان السلطان حتي يكون هو السلطان
فبهذا الموجب هلكوا اجمعين وبيعوا علي
بنايهم ومن غريب صنع الله تعالي ان الغوري
كان عنده رما لاحاز قاف كان كل حين يقول
له انظر من يلي الحكم بعدي فيقول حرف سين
فكان السلطان يعتقد انه سيباي وكان
كلما كتب سيباي للسلطان مما يفعل خاير بك
نايب حلب من الاثبات للسلطان سليم
بانه معه ملاخي علي ابنا جنسه ويحرضه
علي المجي الي اخذ ارض مصر من الحراكسه
والسلطان الغوري لايقبل من سيباي نصيحة
حتي ينفذ قضا الله تعالي وقدره وكان
ما كان ولم يتمكن سيباي من ملاقات
السلطان الاعلي مضع وهي قرية من الشام
وحضر سيباي قدام السلطان وقدم مقدمة

عظيمة

عظيمة لها قدر وقيمة فشكره السلطان
على فعاله شكرًا زايدًا بعد ان خلع عليه خلعة
عظيمة ولم يخلع على احد من النواب غيره
وكل ذلك والسلطان يعتقد ان الخيانة
انما هي من سيباي وما قصده الا اخذ السلطنة
كما ذكره المنجم الرمال على حرف السين ولا
يظن ويخطر في فكره ان السلطان يقدر يدخل
ارض مصر لما يعلم من شجاعة الشراكسة
ولا يعينوا احدا من اخذ بلادهم وما دري ان
الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين وكان السلطان الغوري يعلم ان
سيباي بطلا من الابطال لا يخطر الموت له
على بال فانه كان فارس مناع وبطل
شجاع دام عزم شديد وباس مديد
وكان السلطان لا يحب الا جنابه واما

بحيله

خايربك فانه لم كان السلطان حسابا

لما يعلم من خيانته وعدم شجاعته فاخذه منه لا

بحيله وكان سيباي من مماليك السلطان

قايتباي رحمهما الله وكان رجلا بعد برجال

وهو الذي عمر المدرسة التي بدمشق المعروفه

بمدرسة سيباي وهي اذ خلصت من سويقه

الحابيه وانت طالب الى دار السعاده فتكون

على يسارك واوقف لها الاوقاف ورتب

لها الخيرات رحمه الله تعالى قال الناقل

وهو الشيخ احمد ابن زنبل المحلي الرمال

شا جامع سيرة الجراكسه وما وقع بينهم

مع السلطان سليم بن عثمان فاما السلطان

كان له اخ اكبر منه يسمى السلطان احمد وكان

حاكم برصه وكان اخوه قورقط في ما نصبه اماسيه سلطان

والسلطان سليم قبل ان يتسلطن في دراندون طرزه

ولكنه

6

ولكنه كان ذو همة عالية في طلب الملك
والرياسة على اخوته فالهمه الله لزواج ابنه
ملك التتر ليكون لهم ظهرًا فتزوجها ثم تجرد بعد
ذلك لاخذ الملك من ابيه لما سمع من الجواسيس
التي كانت تاتيه بالاخبار بان اباه ابا يزيد
ضعيف على موت وانه ارسل لولده سلطان احمد ليحضره
ويقلده الملك من بعده فحان احمد من اخيه
سلطان سليم لما يعلم من طلبه الملك لنفسه فتاخر عن
المجي فخرج السلطان سليم العاكر على ابيه
فلما سمع ابيه بذلك اخذته الغيره وامر
بالخروج لملاقاته فخرجت العساكر ودفع
الحرب بين الفريقين فكانت الكرة على السلطان
سليم فانهزم واخذت زردخانته فهرب الى الكفا
فدخل الى عند رجل يقال له كمال دواداز التلعر
فاضافه ومكث عنده مدة ايام فسكى له السلطان

سليم ما جرى له وما ذهب منه من المال
والرجال وهو متحير في امره وقد قصد اخذ
الملك من ابيه قبل ان يعطيه لاخيه احمد
فلم يصح له ذلك فقال كان عندنا من مال
ابيك شي كثير متحصل وكنا نريد ان نرسله
له تجره وتقوى به ففعل كما قال له كمال
وجمع عسكرا جرارا وكان السلطان سليم
لا يتوقف في جمع العسكر لا على رومي ولا على
عجمي كل من اختار ان يكون من عسكره يقبله
ويعطيه الجامكيه ويجعله من عسكره فجمع
الكثير من الاول وجرد على ابيه ثانيا
يريد القسطنطينيه وكانت عساكر ابيه كلهم
مالوا الى السلطان سليم لما يعلموا من علو
همته واما ابوه ابي يزيد فانه كان رجلا
مباركا من اوليا الله تعالى لا يحب العظمه

ولا

ولا التجبر وكان رايس العسكر اغات
الانكشاريه يونس اغا فلما وصل الخبر
الي السلطان ابي يزيد بان ولدكن حترد
علينا ثانيا امر العسكر بالخروج لقتال ولده
سليم فلم يطعه احد من عسكره فجا السلطان
سليم الي ان وصل الي مدفن ابو ايوب الانصاري
رضي الله تعالي عنه فدخل الوزير الاعظم
وكان اذ داك مزحان باشا علي السلطان
ابي يزيد واخبره بذلك واعلمه بان العسكر
كلها مالت الي سليم ويعصون لما يعلموا من
نفسك من الرطبة الملوكيه وانت تعرف
ما يترتب علي ذلك فامره السلطان ابي يزيد
بان يقول لهم السلطان يولي عليكم ولده احمد
فابوا ذلك وقالوا ما نريد الا سليم كلمه
واحده فخرج السلطان ابي يزيد ليريد الكفا

بما له وعياله وان يقيم هناك ودخل سليم
الي القسطنطينيه فجلس علي تخت الملك وسافر
ابوه الي يومين ومات الي رحمة الله تعالي
وهو غضبان عليه ودعي عليه حال خروجه
فلم يهن بالملك ومازال في حروب وكروب
الي ان مات سنة ست وعشرين وتسمايه واما
احوال السلطان احمد فانه لما ارسل خليفة
ابوه ليقلده الملك الي ان وصل الي اسكدار
فلم يراه يرحل سليم ارسل لاخيه احمد خلصه
وردّه الي مكانه ولذلك اخيه فرط ارسله
الي مملكته وهي مانصه بيرانا طولي واستقر
هو في الملك ثم ارسل خلف كمال الذي كان
بالكفا وجعله اغات الينكشاريه ويونس
اغا جعل وزيرًا وجعل قرجات باشا
البكي وزيرًا ثم يقتل اذوته واستقل هو

بالملك

بالملك ولذلك اخذه قرط ارسله الي مملكته
مصر واستجار بالغوري فاجاره فارسل سليم
يطلب من الغوري فابي ان يمكنه من ذلك
فاشتدت العداوة بينه وبين الغوري
قال الراوي ولما قوي العداوة بينهما
ان السلطان لما غزا اسمعيل شاه سلطان
العجم وجاز بالعساكر من علي البير وكان
نايبها علي الدولة من جهة السلطان قانصوه
الغوري ملك مصر فامر علا الدولة اهل
مرعش ان لا يبيعوا علي عسكر السلطان سليم
شيا مطلقا من الماكل وغيرها فاحمات
اكثر الناس والدواب لشده الغلا وكان
هذا سبب الحرب بينهما يعني الغوري وسليم
وحصن علي الدولة البلاد كلها والحصار
والابراج فلما جري للسلطان سليم ذلك

اعرض عليه وزراوه ذلك لحصل له من الغنم
ما عليه من يد وكان السلطان سليم حاد المزاج
صعب الخلق قادر ان يامر العسكر بالحمله على تلك
النواحي وبجاه مرعش فاشار عليه وزراوه
بالثاني وان يرسل يعلم الغوري بذلك فامر
بكتابه مرسوم الى ملك مصر قانصوه الغوري
يخبره بما فعل علا الدوله فاجابه الغوري
بان علا الدوله عاصي امره فان قدرت عليه
فاقتله وخلع على قصاده وان سليم لم كتب
الغوري مرسوما لعلا الدوله خفيه يشكره
على ما فعل ويغريه على قتال سليم شاه ولا يمكنه
من شي ابدا وكان قصد الغوري القا
الفتنه بين الاثنين رجا ان يقتل احدهما
او كلاهما فيكفى شرهما فانه كان يعرف
شده باس كل منهما فقوي قلب علا الدوله
على

علي قتال سليم شاه واهليه شاه فانه لما
قرى جواب الغوري علم بفراسته انه خديعه
انه فتحملت نفسه من الغوري غاية التحمل وكان
ذلك سببا لاثارة الفتنة بينهما حتى وقع
ما وقع كما هو مشهور ثم سافر سليم شاه الى ملاء
اسمعيل ووقع الاتفاق بينهما بان يبطلا النار
ويتقاتلا بالسيف والعود فلم يثبت سليم شاه
غير ساعة وولى عسكره منهزما لان الروم
لا قدرة لهم على ملاقات من غير نار فعند
ذلك امر اغات الانكشارية ان يرموا
بالنار فما كان الا ساعة وانهزم اسمعيل
شاه فان النار لا يطيقها احد فاخذ
السلطان سليم ما وجده من العجم وانثنى
راجعا منصورا مؤيدا لقتال علا الدوله
واما علا الدوله فانه جمع جيوشا الكثر

من جيوش سليم شاه وا التقى الجمعان

فلم يكن لسليم قدرة على جيوش علا الدولة عسكره

لكثرتهم ولكن اذا حصلت النصره الالهية

بالعناية عانت على ذلك وكان مع سليم

بن سوارشاه وكان سوارشاه هو الملك

والحاكم على تلك البلاد هو اخو علا الدولة

فلما قبض على سوارشاه الحيله التي عملت

عليه وشنق على باب زويلة بمصر في زمن

قايتباى على يد الامير يشبك الدوادار

كبير والقضية مشهوره ثم اخذ علا الدولة

الحكم من بعده وكان لسوارشاه ولد وكان

المراد لانه يهرب الي السلطان سليم

فلازال عنده حتى وقع هذا الحرب مع

علا الدوله واصطف الفريقين للقتال

فخرج بن سوارشاه الي الميدان بين الجمعين

مادن

باذن من سليم و قال من عرفني فقد كفا
ومن لم يعرفني انا ابن سوار شاه اين من
هو من العام ابي ابن المحسني لي ولو الذي
فليأتوا تحت صنجق ويكون تحت حماي من
عدوه و لا ابدا ان لكل انسان من يحبه ومن
يبغضه فمن كان يبغض علا الدوله واقرب
هو ومن يبغضه فمن كان يبغض علا الدولة
قالوا الي ابن ابن سوار فما تم غير ساعه
حتي قتل علا الدولة وغلب اولاده وقطعت
روسهم وجي بهم الي السلطان سليم فارسل
بهم الي الغوري فلما راهم حس قلبه بزوال
ملكه لتا بيقن ان اختلاف عسكره عليه
كا وقع لعلا الدوله فان الملك ليس هو
ملك الا بعسكره فاذا انحرف عليه عسكره
ضاع حاله ثم ان سليم تطمعت اماله باخذ

مصر ثم امر بالتوجه الى الوزير ثم استشار
الوزير الاعظم وهو ابن هرسك ولعزه
بيرى باشا فقال ابن هرسك للسلطان
سليم نحن وصادمنا مع عسكر مصر في زمن
ابيك وكنت انا باش العسكر فكسرونا اشد
كسره وقبضوا علي ودخلت مصر اسيرًا
حتى وقفت بين يدي السلطان قايتباي
فمن علي باطلاقي وعفا عني عفا الله عنه وحلفت
له اني لا اسحب في وجهه ابدا سيفا ابدا وصادق
على ذلك بيرى باشا فعند ذلك بثلاثة
ايام امر بعزال الاثنين الملك سليم ثم سار
قاصدًا الى عسكر مصر فلما وصل الى مدينة
رملحوا اقام بها ينتظر الاخبار فلم ياتي احد
فامر بارسال قاضيا الى العزري وكان
القاضي اعرجًا فلا زال حتى وصل الى حلب
مزي

مزي وطاق الغوري خال من العسكر مافيه
الا نحو الف نفس لانهم كلهم دخلوا حلب واخرجوا
الناس من بيوتهم وفسقوا في حريمهم واولادهم
واذوهم الاذى البليغ وكان ذلك سببا
لقيام اهل حلب مع السلطان سليم على الجراكسة
لشدة ما حل بهم من الضرر من الجراكسة فلما
بلغ الغوري انه جا قاصدا من عند السلطان
سليم فاذن له فمثل بين يديه وتادب غاية
الادب فترحب به الغوري وساله عن
السلطان سليم فقال له القاضي هو ولدك
وتحت نظرك فقال له الغوري لولا انه
مثل ولدي ما جيت من مصر الى وجيت باهل
العلم حتى يصلح بينه وبين اسمعيل شاه
ثم اجزل عطاه واصرفه ثم امر الغوري
بالخروج الى الحرب فخرج جميع العسكر

واوذوا جميع امنوا لهم عند اهل حلب
بعدما اذوهم الابيزا البليغ فلما خرجوا
من عندهم دعي عليهم الكبير والصغير
والغني والفقير لما حصل لهم من ضررهم
فلما استقر الغوري امر بارسال قاصدا
لسليم شاه فشاور اكابر دولته فاقتضى
رايهم ان يرسل رجلا من اهل الدين والعلم
ليتكلم بينهم بالمعروف رجا لحقن دما
المسلمين فلم يفعل وامر باحضار الامير
مغلباي ودوادار سكين وكان رجلا
مستقلا فاضلا علي رد الاجوبة في
اقامة الحجة فقال له الغوري جهز نفسك
واخرج الكشف لنا خبر اهل الروم وما هم
عليه واعط هذا لكتابته الى ملكهم
ثم امر عشرة من خيار العسكر بالتوجه
مع

12

مع مغلباي الي عسكر سليم وهم ملبسين
اللبوس الفاخره وكل من راهم يتعجب
في خلقتهم وحسن خلقهم وهندامهم وهم
كالعرايس صف واحد فلما مثلوا بين يدي
سليم من غير اطاله نظر اليهم سليم مليا وامتلي
من الغيظ ثم قال للامير مغلباي يا مغلباي
استاذك ما كان عنده من اهل العلم احد
يرسله لنا وانما ارسلك بهذه العشره
لترهب بها قلوب عسكري وتخوفهم برويه
اجناده ولكن انا اكيده مكيده اعظم
من مكيدته ثم امر برمي رقاب جماعته
مغلباي وهو يغتاظ من صميم قلبه فارتجفت
قلوب الحاضرين لذلك فقام الوزير يونس
باشا وقبل الارض بين يديه وقال
الرسول لا يقتل وليس له ذنب فقال لابد

من ذلك فقال الوزير فان كان ذلا بد
فابقي على كبيرهم مغلباي فامر بحبسه
وقتل العشرة وحبسه بقلعة رملطواتوميني
ثم احضره وحلق دقنه والبسه طرطور و
وركبه حمارا اعرجا معقورا وقال الس ه
قول لاستادك يجتهد جهده فلم يقرا سليم
مكاتبة الغوري لشره غيظه لما راي
مغلباي والعشرة ملبسين بالجديد الما
نع فحم بفراسته انه ما ارسل هولا يحرق
عسكره من شدة باسهم وفراستهم فلما
رجع مغلباي للغوري علي هذه الصفه
عز عليهم ذلك وقامت نفوسهم علي قتال
السلطان سليم بعد ما كانوا ظنوا الا
انهم جاوا للصلح بين اسمعيل شاه وسليم
ثم ان الغوري امر كرتباي الوالي بان

يكشف

19

يكشف خبر سليم وعسكره ويرجع على الفور
ليستمشي عليه ويبادره بالحرب فلما وصل
كرتباي الى قيصاريه وجد اهلها قد قفلوا ابوابها
وتاهبوا لقتال عسكر مصر فلما بلغهم ما
فعلوا في حلب واهلها من اخراجهم من
اماكنهم ونهب اموالهم وغصب نسايهم
وبناتهم ثم وجدوا ابو نسر نايب عينتاب
عزل حريمه واموال وهو معول على الرحيل
الي السلطان سليم وقد انقلب على ابنا
جنسه ومال الى الروم فرجع كرتباي
الى الوالي واخبره الخبر بان قيصاريه قد عصوا
عصوا علينا وارادوا قتالنا ومالوا
مع سليم شاه وجانا الخبر بان طلايع
عسكر قد اقبلت فلما حققنا ذلك عطفنا
راجعين نارنج عسكر مصر لذلك ووقع

بينهم الخلف فعند ذلك انتبه الغوري من
ساعته والامرا والاعيان وتحالفوا علي
ان لا احدا منهم يخون صاحبه ويكونون
علي قلب رجل واحد ويقاتلوا عدوهم
بعد ان كان العسكر ما يظن الا الصلح
بين اسمعيل شاه وسليم شاه واما يونس
نايب عنتاب قدم علي نخله مع كرتباي
الوالي وقال في نفسه ربما تكون النصره
لهم فلا امن علي نفسي ولكن احصل لي معهم
وجه وركب من ساعته الي ان مثل
بين يدي الغوري وزعم ان السلطان
سليم شاه قبض عليه وانه هرب وجا
الي مولانا السلطان ساعيا له علي عدوه
فلم تنطلي حيلته علي السلطان لترامي توسطه
في الوقت فوسط والامرا والاعيان
كلهم

كلهم مجتمعين فقام من بينهم الامير سيباي
نايب الشام وقبض علي خايربك نايب
حلب وجره من طوقه بين يدي السلطان
الغوري وقال يا مولانا السلطان اذا
اردت ان الله ينصرك علي عدوك فاقتل
هذا الخاين المخامر وكان خايربك يده
كانه بين يده الشمع وهو يجره فقام الامير
جان بردي الغزالي وقال يا مولانا السلطان
لا تفتنوا العسكر وتبدوا في قتال بعضكم
بعضا لو تذهب اخباركم الي عدوكم فيزدادوا
طمعا فيكم وتضعف شوكتكم والراي لكم
وتاخر من مكانه وكانت هذه مكيدة من
الغزالي والا كان خايربك قد هلك
ولكن اذا اراد الله بامر بلغه والحيث
مااله قاتل فامرهم السلطان بان يتجالفوا

ثانيا وان لايخون منهم احد والخاين يخونه
الله وعليه لعنة الله ثم امر السلطان
ان ينادي في حلب برحيل العسكر منها الى
قتال ابن عثمان وان يتاهب كل واحد
ويستوفق لنفسه وكان ذلك في يوم
الجمعه من رجب سنة اثنين وعشرين وتسعمايه
قال الراوي وكان له موكب حتى رحب الارض
ويلبس الحرير كالعيان وكانت الجلبان ثلاثة
عشر الف مملوك كلهم شرات العزري
فلا واحد منهم الا يعرف ساير انواع الحرب
والفروسيه فانه كان مشهورًا في تعليم
الجلبان وكان قصده ان ينشي له عسكرًا
من مماليكه مشترا وانه وهو يقطع القرانصه
وهم مماليك الملوك الذين قبله
وكان يحب جابهم خوفا من ان يمكروا
به

15

به كما فعلوا عن كان قبله وكان واحد
احذره ولكن الحذر لا يمنع القدر والقاعده
المشهوره كل من طلبوا اكله فاتوا كلة
وكان معه الاربعه الايمه من المذاهب
وخليفة سيدي عبد القادر وخليفه سيدي
ابراهيم الدسوقي وخليفة احمد البدوي
وكان معه المؤذنين الدوادار فا لوعاظ
وكان له نظام عظام فانخرم ذلك النظام
وانتكست تلك الاعلام ولما التقى الا علام
كان في اول الجيش امير كبير وهو سودون
العجم وار كان امير سلاح وتحتاي امير
مجلس وكان امير اخور كبير سيدي محمد بن
السلطان الغزري اقام في حلب سامنر
والده وكذلك دواداره جاغا الاترجي
وممن كان في مقدمة العسكر سودون

راس نوبة النوب وانس باي حاجب الحجاب
وقانصوه بن سلطان جركس وكان من الارباب
وتمر الزردكاش وجان بلاط امير اخور
ترسين وتاني بك الخازندار وازبك المكحل
وبيبرس بن عم السلطان ثم باتو اتلك
الليله على خير حرب ولكن لم يبقى لاحد
نوما خوفا من مكر بعضهم لبعض وكان
ابتدا الحرب في يوم الاحد المبارك ثالث
عشرين رجب سنة واثنين وعشرين وثمانيه
وكان اول من بادر بالحرب والقتال
من طايفة الجراكسه كان اصلان بن بداق
نايب حمص اخذ ترطاريته بيده واطلق
عنان جواده وصار يطعن في الفرسان
يمينا وشمالا حتى مدد القتلا على الرمال
واجرى الدما على تلك الاراضي فلما
فلما

16

فلما راوا الامرا ما فعله اصلان بن براق
في حملته اخذ ثم لحميه فحمل الامير سيباي نايب
الشام ثم حمل امير كبير سودون العجمي ومماليكه
خلفه نحو الف ملبس ثم حمل الامير خان بلاط
ابو ترسين ثم الامير علان دوادار ثاني
ثم حمل الامير قانصوه بن سلطان جركس
حملة ترعد الاحشا منها وضرب ضربات
تقصر الهمات عنها ثم حمل كرتباي الوالي
وكان فارس الخيل نادا الموت الذي وام فديه
ذره من شجاع فريد عصره يلقي المنايا والملمات
الثقال بصدره ثم حمل الامير تنم الرودكاش
وتحتباي امير كبير بحلب والامير ازدباي
حاجب الحجاب والامير قانصوه كرت والامير
تاني بك الخازندار والاتابك بك العجمي
والامير بيبرس بن عم السلطان الغوري

والامير قانصوه الفاجر والامير قانصوه
ابو سنه والامير خايربك المعمار والامير
جان بردي نايب الشام وتنبردي الغزالي
وخايربك نايب حلب وكلاهما كانوا رؤسا
المبغضين للغوري والامير غزاز نايب
طرابلس وحملوا بجملتهم وصادموا الروم
صدمة واي صدمة ومالوا عليهم في
القتال ولاقوهم الروم حملات كالاسد
الدخال وبرزت الانكشارية بقلوب
لا يخطر لها الموت على بال ولولا الرماه
من الانكشارية ما ثبتت من خيالة
الروم احد لانهم ليس لهم معرفه في الفروسيه
كالجراكسه ولا ترتيب من قريب وتماكروا
العساكر ببعضهما مكرًا وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال فلم تكن الا من وقعة

اخرجت

17

اخربت الديار ورملت النسوان وتيمت
الاطفال قال الشيخ احمد ابن زنبل المحلي
ولم ترى التواريخ القديمه والحديثه وقعة
مثل هذه الوقعة وكذا اجتمع فيها مثل
هذان العسكران والبرعددا وعددا قال
ولم يقاتل في هذا اليوم من الجراكسة اكثر
من الفين فارس وهم الامرا الذين قدمنا
ذكرهم واتباعهم واما جلبانهم واتباعهم
وهم جلبان السلطان الذين هم مشترواته
لم يتحركوا من مواضعهم ولا هزوا رمحا ولا جردوا
سيفا وسبب ذلك ان الله سبحانه وتعالى
لما اراد ازالة دولتهم اوقع في قلوبهم الخلف
بقضيه وحكم عظيمه وعلي ما قيل ان السلطان
الغوري امر بان اول من يخرج للحرب القرانصه
لكون انهم اعرف بالحرب من الجلبان وكان

وقصده ان تنقطع القرارضه ليكتفي شرهم
ويصفوا له الوقت فانه كان يحسب حسابهم
خوفا من مكرهم فامر بتقديمهم للحرب ولخر
حلبا نه يعلموا مكره لما اراده وافقا هو
وحلبا نه لم احدا منهم يتحرك من موضعه
وتغيرت نياتهم علي وقالوا نحن نقاتل بانفسنا
الشان وانت واقف تنظر الينا بالعين الشامته
ما امر احدا من مماليكك يخرج للميدان
فكان العسكر كله يختلف في بعضه متشوش
النيه ليس لهم راي يرجعون اليه ولا تدبيرا
يعولون عليه بل كل من تكلم بكلام يقول
الاخر بضده فمن تمرد لك انخرم سلطانهم
واما الامرا الذين تقدم ذكرهم يحثو
الالفين هم ومن يلوذ بهم اعتمدوا على الله
تعالى في حملاتهم واصطفوا في كل فعل نياتهم

18

ثم وصدمنا الروم بصدمات وعزمات
فائقه وقلوب متوافقه فلم يثبت الروم من
بين ايديهم الا ساعه واحده من الزمان
رمونا فيها بالمدافع والنحل والبندقيات
حتي صار النهار كالليل الحالك من كثرة
الدخان والغبار من حوافر الخيل الا انهم يقاتلون
علي قلب رجل واحد ونيات متفقه ليس احد منهم
في قلبه غل ولا نكر لاحد وهذا احق لمن يكون
يريد النصر ولقد اجاد القايل واذا اراد الله
بقوم خيرًا وفق كلمتهم والف بينهم ومن اعجب
ما يكون من الحرب ان هذا العربي من الالفين
فارس المقدم ذكرهم من الجراكسه يقاتلون
قتال الموت في نحو مائة وخمسين الف من الروم
والترك ما بين الوف مشاة ومثلهم ابطاله
خياله من عسكر الروم ثم حطوا عليهم حطه

واحد ان الوهم عن موكبهم وعملوا في ظهورهم
كما تعمل النار في الحطب فلما انكسر السلطان
سليم وولى عسكره هاربين ودخل عساكر الجراكسة
الى وطاقه فنهبوا وغنموا واخذوا الزردخانة
جميعا وجاوابها الى الغزري فامر بتسليمها
لنتم الزرد كاش فتبادروا الذين كانوا
تاخروا عن القتال حتى كادوا ان يفتتنوا
ونهبوا وغنموا ففارقت الامرا الذين كانوا
يقاتلون وقالوا نحن نقاتل وانتم تنهبوا
حتى كادوا ان يفتتنوا واطلقوا من وطاق
السلطان سليم النار وقالوا لا النار لا لكم
لا وعسكر الروم ردة عليهم كالبحر
اذا سال بعرض الوادي وسبب ردهم الى الحرب
ان الاكتاريه قالوا نحن مشاه فان هربنا
لحقتنا الخيل اهلكتنا واولى ان نرجع الى القتال
امتا

19

خوفق

امتانا افنيهم ورحنا لوا على بعضهم بالرجعه
وتركوا الهروب فسمع السلطان اصواتهم لينظر
مايكون واذا بالانكشاريه احاطوا به ومسكوا
بعنان جواده وقالوا له عن لسان واحد
اين تذهب حيث بيتا سلمتا للموت وتنجوا انت
بنفسك قف واثبت امتا نغلب وتغلب فوضعوا
بجملتهم رجعه رجت لها الارض ومن الاتفاق
العجيبات في رجوع السلطان سليم بالانكشاريه
في خروج الجراكسه من وطاقه بعد ما حرقو
ونهبوه وضاربت ظهورهم من جوه المروم
فملا عليهم صراخهم ورموا بالنار وامامته اذ ما
فسمع المنهزمين من عسكر الروم فعلموا ان
اصحابهم قد رددت وافتراجع الجمع وكانت الكره
على الجركس فرجع خيربك والغزالي معا المنهزم
من الجراكسه حتى دخلوا وطاق الغزري وناد

باعلا صوته الفرار الفرار فان السلطان
الغوري قد قتل وكانت الكرة علينا وصدقوه
وظنوا ان ذلك حقا وانما هو مكيدة وبغضا
للغوري وانتشا طا للباحاب فتبعه غالب
الجلبان وتبعه غالب العسكر كما قال خاير بك
فكروا ادبارا وكان السلطان الغوري واقف مكانه
وحوله بعض الجلبان الغريبين منه واما
البعاد عنه ظنوا انه قتل فانهزموا مع خاير بك
قاصدين حلب فلما علم الغوري بما جرى لعسكره
من التشتيت صار ينادي عليهم باعلا صوته
يا اغاوات الشجاعه صبر ساعه فلم يلتفت احد
اليه منهم وكان امر الله قدرا مقدورا فعل
ذلك بعضا منهم لسلطانهم فانه كان يريد
ان يقطع الغز الضعيف سافتنى بشر ليستقل هو
بجلبانه ويصفي له الوقت فقالت اهل

20

المعرفه من طلبوا خلد فاته كله ولا تعاند
تغلب لو انك السلطان فتقدم الامير سودون
العجمي امير كبير وقال يا مولانا السلطان
اين جلبانك اين خاصكيتك هكذا عملت بنا
ولا زلت قايم في حظ نفسك حتى اهلكت نفسك
واهلكتنا معاك ولكن القيامه تجمع بيننا وبينك
ونقف بين يدي الله تعالى بالعدل فلا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم التفت عن يمينه نحو الامير سيباي
والامير اقبياي الطويل والامير علان
والامير اصلان بن بداق ومن يشبه هولا
من العرا ايضا وهم واقفين متحيرين فان
جيشهم انكسر قهرا من غير كسر فقال لهم
سودون العجمي ما في يدي شي قالوا كان
خير قال الحمله فحملوا ولكن اين يذهبون

وما عسي ان نقاتل مايته نفس في مايته
الف وثمانين الف ولكنهم مع قلتهم اوقفوا
هذا الجيش العظيم فلم يقدر احد منهم يتقدم
ثم عسى هذه الطايفه القليله من الضرب
والقتال ولكن الكثره غلبت الشجاعه
ومازال العزري واقف حتي بقي وحده
وخلفه حامل الصنجق امير اللوا وكان
رجلا كبير السن من تماثيل ابطال الاحرو
فمن شدة ما حصل للعزري من القهر
فانه كره وقهرا الاعجز فلما راي هذه الاحوال
وقع علي الارض مغشيا عليه فلما وقع علي
الارض رمي حامل الصنجق الرمح واخذ
القماش المطرز وكان يساوي ثلاثه الاف
ذهب فقال الامير علان لاقباي الطويل
ماتري في امر السلطان فقال له قل ما عندك

قال

21

قال ان نحن تركناه فرصا وخليناه فياتي
العدو فيقتلوه وياخذوا راسه يطوفوا
به جميع بلاد الروم قال فما الراي قال الراي
ان تقطع راسه وترميه في هذا الجب والجثة
بلا راس لا يعرفها احد قال نعم الراي فامر
الامير علان عبدًا من عبيده فقطع راس
العوزي ورميها في جب هناك وقيل
ان الامير لما ارسل العبد وامره بقطع
راس العوزي فذهب العبد يلتقي ناس كثير
مطرحين فقطع راس واحد منهم فارماها
العبد في الجب المذكور واختلفت الاقوال
في قتله فقيل انه هو وقيل انه غيره
قال الراوي رحمة الله عليه
ثم ولى الامير علان الى ناحية حلب
واما اقباي الطويل طلب ناحية العجم

واقام بها الي ان مات واما الامرا الذين
الهتوا بالقتال مع الروم فانهم فاض عليهم
بحر المنايا وزادوا وبليوا بها كرملات السهل
والوادة اسع عليهم ذلك الجمع الكبير وخاضت
خيلهم في بطون القتلي فقاتلوا اقتال من قطع
من الدنيا اياسه فقصدوهم الرماة بالبندق
ولو لا البندق ما قدروا عليهم فوقع الامير
سيباي والامير سودون العجمي واما الامير
قانصوه ابن سلطان جركس فانه لا زال
يضرب بالسيف حتى خرق عسكر الروم وطلع
من ذلك الجانب علي حميه فلما خاض سم
الهوي وردت اليه روحه بعدان كان ايس
من الحياة والفضيحة لاجل خرج من بين
الوف ولكن اذا جا امر الله قضي بالحق ولا
راد لله فيما قضي فوقع في الهرهناك يبنت

فيه

22

فيه العرق سوس فالتفت على قوايم الفرس

الفرس فتغرق وكانت عسكر الروم تنظر اليه

على بعد ولم يقدر احد يتبعه فلما راوه في

هذه الحاله طمعوا فيه واحاطوا به فقبضوه

وعرفوه من اللبس وقطعوه بسيوفهم واما باقي

الامرا فان غالبهم غيب في البلاد وغالبهم

قتل وانهزمت تلك الجيوش فتمكن عسكر السلطان

سليم من وطاق الغوري واخذوا كلما فيه

وكان شيا فوق الوصف من الذهب والفضه

قناطير مقنطره ومن البرق والالبسه والتحف

التي جمعتها الملوك السالفه ذهبت كلها

ونهبت في يوم واحد وذلك بالنسبه لما

المناله السلطان في قلعه حلب وما

اوذعته الامرا والاجناد عند اهل حلب

لا ينحصر ومما نقل ان السلطان الغوري

لما خرج لملاقات الغا منه اخذ معه مايه قنطار ذهب وثلثمايه ومايتين قنطار فضه انضاف وكان قصده ان يجعل ذلك نفقة على العساكر ونوى انه لا يزال ذاهب الى البستان بولي ويا خذها من يد السلطان سليم وسبب ذلك انه كان ارسل للسلطان سليم كتاب على سبيل النصيحه وغالبه تهديد كالتهم في الترسم ومن جملة ذلك انه قال له اذا لم ترجع عن ما انت فيه من الظلم والتعدي عن المسلمين والا جيت بعسكر من بلاد الروم واخرب قصرك عليك فكان هذا الكلام من جملة السبب المحرك للغوري على خروجه للمحاربه بنفسه وارسل في الجواب انا لا احوجك الى المجي الينا ولكن تاهب للقا الابطال

وتنتظر

وتنظر الرجال ليف تفعل صدق في قوله
لكنه انجم قلوب عسكره واهلك غالب الامرا
القرانصه فكرهته العساكر كلها وخرجوا
معه وكل يتمني له ان لا يرجع الي مصر
وكان هذا من سود تدبيره وكل ذلك
حتي يجري القضا والقدر قال الراوي
وبات السلطان سليم في مرج دابق ثم
اصبح وامر ان يعدوا القتلي من الفريقين
فوجدوا اقتل من الجراكسه خمسمايه نفر والترك
بالبندق وقتل من عسكر الروم خمسه الاف
ثم وجدوا في القتلا رجلا عظيما من الجراكسه
وعليه من اللبوس الفاخره وما يناسب الملوك
وعليه من الهيبه والوقار ووجهه يتلالا
نورا وقد جاته رزيطانه اخذت مخده
فجي ببعض من يعرف الجراكسه فوجده سودون

العجمي امير كبير فامر السلطان بتغسيله وتكفينه
وصلي عليه وامر بدفنه فكان ترابه في زاويه
هناك تسمي زاويه الشيخ ابو النور الساري
قال الراوي واما ما كان من عسكر
الجراكسه فانه لما وقعت عليهم الكسره
نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان يا خذ
مهما قدر عليه وكل من كان له عدو وقدر
علي قتله قتله ولكل شي افه من جنسه
وانظروا الي قوله تعالى ولا تنازعوا
فتفشلوا الايه وقال تعالى واذا اردنا
ان نهلك قريه الايه وقوله تعالى واذا
اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الايه
ثم ذهب غالب العسكر قاصدين
الي حلب فمنعهم اهل حلب ومنعوهم
من الدخول الي حلب لشره ما قاسوا
منهم

24

منهم حين مجيهم الى حلب مع السلطان
فتشتت شملهم وذهبت حميتهم وانكسرت
سولتهم بعد تلك القوه والمنعه العظيمه
والباس الشديد وهو مصداق قوله
ولا تنازعوا فتفشلوا الايه وكان سبب
سعادة اهل حلب من هذه الوقعه ان الظهم
او دعوا عندهم اكثر الهم جميع امتعتهم
وخرجوا على جرايد الخيل فطمعت فيهم
اهل حلب وصدوهم عن دخول حلب
واما خاير بك فانه دخل حلب واخبر
سيدي محمد ابن الغوري بما كان القاه
ابوه على خزانته واموا له بقلعة حلب
فاخبروه بان ابن سوار شاه نازل على
حلان بعشرين الف فارس وهو قاصد
اخذ حلب فقال له سيدي محمد ما الراي

يا امير خايربك قال الراي ان تنادي في
العسكر بالرحيل الى مصر وتجمع اليك ما
تشتت من العسكر وتكون ملكهم موضع ابيك
وانا مساعدك في ذلك وصدقه في مقالته
ونادي في حلب بالرحيل الى مصر ومن له
رغبة في المسير الى مصر فليتبع ابن السلطان
فخرجت الناس على وجوههم وتركوا اثقالهم
واموالهم واختاروا سلامة الروح وخرجوا
كالهاربين وكان ذلك مكيدة من خيربك
حتى ياخذ حلب للسلطان سليم من غير حرب
وكان لذلك فانه ارسل للسلطان سليم
يخبره بما يفعل وانك ترح في هذا الوقت
الى حلب فانها خاليه من العسكر المصري
واما عسكر حلب فقد اطاعنا ابقيد شاه
فجا السلطان سليم ودخل حلب من غير حرب

واطاعته

25

واطاعته الرعايا والعساكر جملتها واخذ
الاموال التي وجدها ونهب القالب
وتلاتا امرا ابن الغوري وما دخل في
مصر الا في اسوا الاحوال واذا اراد
الله بامر بلغه فلما خرج بن الغوري
من حلب وقصد دمشق الشام فخرجت عليهم
العربان ونهبوا من اثقالهم ما قدروا عليه
ولولا ان الامير ابرك راس الجلبان
والامير قنبردي الغزالي والا كانوا الجميع
العسكر فان العسكر ماتت قلوبهم والقي الله
تعالى في قلوبهم الرعب فما دخلوا في دمشق
الا في اسوا الاحوال فضاقت بهم دمشق
وغلت الاسعار واقاموا بها ثمانية
عشر يوما واراد الامير قنبردي
الغزالي ان يتسلطن فقال

منا

الامير ابرك اولي تكون السلطنه الا لابن

السلطان فاجابته الجلبان جمله واحده

وبعض من القرابضه ثم لما سمع الامير قنبردي

القرالي ايس من السلطنه فنزع في الملاحات

وفي تعكيس امرهم وكلما دبروا امرا لحصل

منه المحصله لهم ليستحطهم فيه فقام

الامير علان وقال تحت السلطنه بمصر

امرا بالشام قالوا عصر قال فاذهبوا

الى مصر واجتمعوا من بها من الامرا

واتفقوا على انا من تختاروه سلطنوه

فان السلطنه لا تصلح الا لاشجعنا

واعقلنا خصوصا نحن في اضيق الاحوال

وعدونا في طلبنا كي نتسلط علينا

ولدا صغيرا وان كان هو ابن السلطان

ليس فيه كفاة للسلطنه على هذا الوجه

فاستحضروا

فاستصوبوا رايه وما قصده الا ان تكون
السلطنة له فانه كان من الفرسان
المشهوره المشهوره وكل انسان ما يريد
الحظ الا لنفسه فاقتضى رايهم بالتوجه
الى مصر وابن العوزي وابن العوزي
معهم كاحد الناس لا يلتفتون اليه واما
الفرا ارضه الروس كل منهم يتمنى ان يكون
هو السلطان ولكن ما يكون الا ما يريد
مولانا سبحانه وتعالى فلما خرج العسكر
من الشام قاصدين مصر قالوا للغزالي
من يحفظ الشام قال الامير ناصر الدين
بن حنش فارسل خلفه فلما حضر خلع
عليه خلعة تليق بمقامه فانه كان من
الاعيان شيوخ العربان ببلاد البقاع ساد
وقال له البلاد بلادك فاعمل حفظها

حتى تنظر الامر كيف يكون ثم ذهب
الامير قنبردي الغزالي مع العسكر الى
مصر وهو كامن لهم الغدر الذى لم يسلطنوه
وصمم على معاكستهم ومال بقلبه الى راى
خاير بك في تحريض السلطان سليم
الي اخذ مصر فانه كان قصده الرجوع
من حلب وما طمعه في اخذ مصر الا خاير بك
والغزالي فلازالوا سايرين الى ان دخلوا
مصر ليلا وهم في اسوا الاحوال فنزل
قنبردي الغزالي في بيت افندي وابن
العزري في بيت ابوه الذي بناه له محي
البندقانيين وهو الذي هدمه الحمزاوي
وصار خان وبقيت البيت باقيه الى الان
وهي القاعه العظيمه وما حواها من ناحية
باب ستر العوزيه فسبحان من يغير ولا يتغير
وكان

97

وكان الامير اسن باي حاجب الحجاب
في راس حدرة البقر عن يمينك وانت متوجه
الي الصليبه هو يعرف الان ببيت حمزه
الذي مات في اليمن الان عثمان بيك
وتم الزرد كاش في البيت الذي بابن ابيه
وبيت الامير باني بك اليحمي في حدرة
الصليبه عن يسارك وانت قاصد باب
زويله وبيت قانصو الفاجر الاشفل
عنه من ناحية باب زويله الذي فيه
الان كان ساكن فيه قايتل ناظر الدشيشه
وبيت يحباي بحاه وبيت ابوك راس الجلبان
في الصليبه من ناحية الكبش وبيت طومان
باي دوادار كبير علي بركة الفيل
وبيت الامير علان علي بركة الناصريه
بجوار مدرسة امير اخور وبيت الامير

قانصوه كرت بالقرب من قناطر السباع وانت قاصد مصر العتيقة بجوار مدرسة لاجين وبيت ابن سلطان جركس بقرب سيدي عماد الدين وبيت تقطباي نايب حمام بقرب بشبك التي في راس سويقه العزي من داخل الدرب القلعه وبيت اركماس امير مجلس في بيت يزبك وثاني بك الخازندار في بيت الامير ماماي ونوروز الدوادار في بيت جان بلاط بالقرب من الخرنفش مقابل مدرسة الباسطيه وبيت قانصوه ابو اسنه في راس سويقة العزي من ظاهر الدرب وبيت خوشقدم جلدي في الصاغة بجوار سويقه البقلي وانباي الطويل في بيت تراته وبيت الامير قانصوه دحل في الرميله وبيت جان

ديوان قاضي العسكر

28

جان بلاط الموترسين في سويقة صفيه
دبيت كرتبغه الوالي في راس سويقه
العزي وانت قاصد باب زويله وبازايه
بيت قضا بردي و كانت مصر لهوده الامرا
كالعروس المجليه وكل امير من هولا كالملك
المنفرد بنفسه وكل من في حارته غاليس
في رزقه فسبحان من لا يحول ولا يزول
ولا تراه العيون وبيت قادصوه اسفل
بباب الخرق بالجدره وانت قاصد سويقه
صفيه وهو مشهور الى الان وكان يامر
الشاس بان يصقل جلد الحصان
حتى يصير يلمع كالمصقول من الثياب
فلهذا سمي اصقل وكان بيت الامير الكبير
سودون العجمي في راس سويقه التاغني
على يسار القاصد للسويقه المذكوره

من حمزاده ملك الارواح في ذلك الزمن
ونرجع الي اجتماع العسكر بالعسكر المقيم
وحكوا ما وقع لهم وكيف كسروا وحقروا
باختلافهم في بعضهم وملاقاتهم
علي سلطانهم وهلاك انفسهم وكل ذلك
ثمرة الغبار كما قال القايل لا تقاتل تغلب
لزانات السلطان ثم اجتمع الامرا والاعيان
في ثاني يوم بقلعة الجبل فاقتضى راي
الجميع سلطنة طومان باي وبايعوه
على السلطنه في يوم الاخيره من رمضان
سنة اثنين وعشرين وتسعمايه وكانت
سلطنة الغوري تسعة سنين وتسعمايه
وكان رحمه الله غليظ الجثه كبير البطن
متوسط الطول كبير اللحيه والوجه ورزق
من الاولاد الذكور ثلاثه اولاد ولم
يعيش

فانصوه

نعيش منهم سوى سيدي محمد وقد اخبر
ولده هذا عن والده العزري انه عاش
من العمر ستة وسبعين سنة وقيل ستة وثمانون
سنة فلما ان تابعوا طومان باي على
السلطنه اراد ان يقبض على سيدي محمد
بن العزري ما معه من المال فقال الامير
ابوان راس الجلبان وقام معه ما بقي من
الجلبان وقال لا سبيل الى اذى ابن استادنا
بوجه من الوجوه حتى تذهب ارواحنا
يهلك استوادنا بينكم فيغلب مصرًا وتربوا
يهلكوا ولد الاحرفلا كان ذلك الا ان
هلكنا اجمعين فقالت القرانضه
وكان المتكلم منهم الامير علان والامير
كرتبيه الوالي فانهم كانوا عرض طومان
باي لما علموا من دينه وعفته وصلاحه

وشجاعته وفرسيته ولبس الخبر دا لعيان
فقالوا للحلبيان مهما حصل لابن استادكم
في عرضنا وفي دمتنا واما انكم تعلموا
ان طومان باي رجل صوفي وليس معه
ما يقوم بنظام السلطنه وقصدنا
ناخذ من ابن استادكم قدر خمسين
ستين الف دينار يدفعها لطومان
باي ليستعين بها على لقا العدو القادم
علينا واما ابن استادكم ولد صغير
وليس فيه كفاة لذلك فما تحققوا
الحلبيان ذلك الكلام وحلوا عن
ما كانوا عزموا عليه من القيام
على طومان باي هذا ما كان من امر
طومان باي واما ما كان من امر
السلطان سليم اقام بحلب نحو العشرين
يوم

30

يوم وكان مع العوزري خلفا المشايخ
مثل سيدي احمد وسيدي عبد القادر
الجيلاني وسيدي ابراهيم الدسوقي
وامثالهم فلما وقعت الكرة على العوزري
بقيت المشايخ المذكورين بحلب فلما
سمعوا بان السلطان سليم قادم على
حلب خافوا من سطوته فاخذوا في
الذهاب الى نحو الشام فلما راهم على بعد
ومعهم الرايات والاعلام قال ما هولا
قال هولا خلفا المشايخ كانوا حاضرا
مع العوزري فلما كسر يريدون الذهاب
الى مصر فامر باحضارهم فلما مثلوا
بين يديه امر بضرب رقابهم اجمعين وكانوا
يلهون على الفتح اللهم بالشهادة ثم
امر بالتوجه الى الشام وكان الشيرلة

على ذلك خاير بك فلما قدم على الشام
امر باحضار على باي نايب القلعه
فشنقه وشنق غالب جماعته وكان
السلطان سليم لدا قدام على قتل التنى
لا يكثر بي في قتل احدان ربك يفصل
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ولو شا ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
وكان الامير خاير بك والامير ناصر
الدين بن حسن في بلادا الدوار هم
الساعدين للسلطان سليم على مراده
ليصير لهم عنده يد ويصير لهم مرتبه
على ساير اهل البلاد ومن كان له
عنده غرض يبقوا عليه واما العبه
فبهذه الوسيله ملك السلطان سليم
حلب والشام وساير الحصون والقلاع
التي

91

التي بتلك الارض من غير فان جميع العساكر
منها من قتل ومنها من هرب الي بلاد اخري
ومنهم من ذهب الي مع من بقي من العسكر
فاخذها من غير قتال ثم قوي عزمه الي المجي
الي ارض مصر فانه كان قصده الرجوع
الي بلاده بعد اخذ حلب كما فعل قبله
تيمور لنك خزاه الله فانه كان اخذ حلب وبر
الشام بجملته واخرب الشام وحلب بيد واحده
واخرب البلاد واسر الحتاذ واهتك
حرمات الله فاخذه الله اخذة رابيه
وكان قصده اخذ مصر من يد سلطانها وكان
اذ ذاك الناصر فرج بن برقوق فخشي ان
يتحولن يرد الله علي عقبه وكذلك السلطان
سليم لما اخذ بر الشام وحلب قصد
الرجوع الي بلاده فاغواه خاير بك

وقنبردي الغزالي وناصر الدين بن الخليشي
والمتوجه الي مصر وضمن له خيربك اخذ
مصر وذلك سكرا منه فانه علم ان رجع
السلطان سليم الي بلاده فلم تبقي الجراكسه علي
خايربك ولو ذهب في تخوم الارض ومنا
كان ساعه الا انه التزم للسلطان سليم
باخذ مصر وان شا السلطان فقال له
اتاذن لي في ملك مصر وجميع العسكر اجتمعوا
بها وقد اخذوا اهبتهم وسلطنوا عليهم
طومان باي وهو مشهورا عندهم بالشجاعه
والفروسيه ولا بد لهم من امر تدبروه
وحتي التجوا في بلادهم وبعد المسافه
بيننا وبين بلادنا فقال له خايربك
ان العساكر الذين رجعوا من بعد الكسره
قد انقطعت قلوبهم لاسيما والخليفه
بينهم

32

بينهم قايم فانهم جميعهم مختلفين وكل من
الامرا الاعيان وقصده هلاك الاخر وحيث
كان كذلك لا تختشي من شي و لا انت سمضو ينصرك الله
لك وتقوى في قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وطابت نفس السلطان سليم الى اخذ الملك
ولو فني نصف عسكره ثم امر بكتابة مرسوم
الى السلطان طومان باي مضمونه باني لا
اريد الا ان تكون السكه والخطبة باسمي
وانت نايب عني و ابقيك على ما انت عليه
منما وصل المرسوم الى طومان باي قراه
وفهم معناه وطابت نفسه على ذلك لكون
ان فيه حقن دما المسلمين فقدر الله تعالى
ان الامير علان طالع الى الديوان و اذن
قد لاحت منه التفاته فرا بو لاقية السلطان
سليم واقفين تحت الديوان والمسلمين

ينتظرون اليهم وقد اتبع الخبر ان السلطان
سليم ارسل يطلب منه ان السكه والخطبه باسمه تكون
فلما راهم الامير علان ما تمالك نفسه الا ان
جذب سيفه وضرب اعناق البرلامنيه وكانوا
ثلاثه انفار وطلع الى السلطان طومان باي
وهو مملوا من الغيظ وقال له اصحيح ما قيل
قال نعم قال فما الذي عولت عليه اد افقه
على ما اراد واكون بي حقن دما المسلمين
ويبقى كل احد في وطنه فاني علمت من كلامه
اذا لم اجيبه والا فهو قادم علينا لا محال
وعلمنا ان العسكر كلهم متخالفين وليس
منهم احد مع احد وما اظن ان الله تعالى
اراد بزوال ملك جركس من هذه الديار
فما رايك انت نقاتل عن حريمنا وبلادنا
واولادنا او نقتل عن اخرنا قال ولكم

صبر

33

صبر على القتال قال هذا اسهل ما يكون
فانني قاتلتهم في مرج دانق وعرفت قتالهم
فان ليس عندهم معرفة بالفروسيه ولا
ركوب الخيل وانما غاية ما عندهم الرماة
بالبندق وهم مشاه فنحن اذا اضايقناهم
ندوس عليهم دكة واحده نهلكهم تحت ارجل
الخيل ولعل ان الله تعالى يمكننا من سلطانهم
فناخذه اسيرا او نخليه مثله الى يوم القيمة
فلما راى الامير علان عزم على الحرب
استشار الامرا فمنهم اجاب الامير الى ذلك
واختار الحرب والضرب والطعن ومنهم
من اختار الصلح فقام عليهم الامير علان
والامير كربغا الوالي وشنعوا لهم بالكلام
وذموهم فما وسعهم الا انهم اتفقوا على الحرب
والدفع عن الحريم والاولاد واما السلطان

سليم فانه لما رجع له الخبر بان بو لاقته
قتلوا عصرفا دِسَل خلف خايربك فلما
حضر امره بالجلوس فجلس فكان السلطان
يحب خايربك لانه ناسه علي مراده فال
السلطان سليم كانت همته عاليه ويحب
ان يكون راس الملوك ان راس الملوك
من كان خادمًا للحرمين الشريفين
فقال السلطان لخيربك ما الراي
عندك قال تركب الي مصر تاخذها
وتقطع هذه الطايفه الجركسيه من ارض
مصر حملة واحده وانا ضامن لك
هذا الامر بعنايه الله تعالي فالتفت السلطان
ليونس باشا وقال له ما تقول قال اقول
ان السلطان اخذ من الفراة الي الشام
ويترك لهم مصر اما ان مشينا عليهم

دجونا

في بلادهم مما نامن علي نفوسنا ان حصل
لنا كرة لاسيما وعندهم من العربان مالا
يحصي والعرب تركن اليهم اكبر مما لانهم
معتادون بهم ومنهم من هو مصاهرهم
ونندم حيث لا ينفعنا الندم فتالم السلطان
لكلام يونس باشا وغضه في قلبه ولكن
اثرها له في نفسه حتي قتله وسياتي ذلك
في موضعه ثم ان السلطان امر بالرحيل
بعد ثلاثة ايام الي ارض مصر واما طومان
باي فانه لما راي الامر امن الجراكسه
معولين علي الحرب جميعهم وضربوا الشوره
فيمن يكون باش علي العسكر فاتفقوا
علي قنبردي الغزالي وكان في ذلك اول
عسكرهم لكون انه ملاخ عليهم في الباطن
وكان جملة العسكر الذي خرج معه من

هذه التجريده عشرة الاف عسكري وعشرة
مقدمين الوف وثلاثين من امرا الاربعينات
وثلاثين من امرا العشرات ومن الامرا
مقدمين الالوف المذكورين جان بردي
نايب الاسكندريه وقانصوه ابو اسنه
وقانصوه كرت وتقطباي نايب القلعة
ومن الامرا الاربعينيات برسباي
الشمس وقرقماس والامير سيد وجان
بردي وقاينباي نايب الكرك ومن
العشرات الامير خوش جلدي وقانصوه
الغدار صحبته والامير جانم دوادار
سيدي محمد بن العزري واخوه جانبك
وقرقماس التريغي ولم يا في هذه
السنه الحاج لان السلطان كان مشغولا
بالحرب ثم خرج العسكر في اول شوال

35

سنة اثنين وعشرين وتسعمايه فلما وصلوا
الى خان يونس واذا العسكر واذا العسكر
السلطان سليم قد اتى فوقف كل من
العسكرين فارسل كل منهم فارس يكشف
الخبر فلما اجتمع الفارسان تعالى بعضهما
وكل منهما اخبر عن قومه ثم افترقا ورجعا
واخبرا بالامر فلما تحققوا كل من الفريقين
الخبر تهيوا للقتال وترتبوا ترتيب الحرب
وركبت الجراكسه الخيل العربيه وركب
بعض الخيال خلافهم الانكشاريه بشنت
بندق خلفنا الترك واقدا الكثر من الترك اكلب
فركبوا الغزالي وجاته الجمعيه والجحش في الترك
فتكاثروا عليه وجدوه بالكلاليب فاخذوه
اسيرا فتعصبت له الزعر من الغلمان
وخلصوه من العدد لهوان فتقدموا من

الانكشاريه مقتله عظيمة وخلصوه
وكانت الكرة على الجراكسه واما هذا
العسكر من الروم فانه كان فرحات باشا
تقدم على عسكر السلطان سدور بن يد
وكان المساعد له شيخ العرب الحيمي بابن
البريق على الجراكسه ولاضرهم الا البندق
فانه ياخذ الرحال على حين غفله لا يعرف
من اين جاته فقاتل الله اول من اصطنعها
وقاتل من يرمي بها على من يشهد لله بالوحدانيه
ولنبيه بالرسالة وزح الليث
واما السلطان سليم فلازال سايرًا على
الراحه حتى دخل الى قطيه فلم يجد بها
احد من العسكر مطلقا فاقام بها ثلاثه
ايام ثم ورد عليه احمد بن بقر شيخ بني وايل
وكان اولاده عبد الدايم وبيبرس واحد
دخل

36

وخاطره وكان خاطر اصغرهم بخلع على السلطان
وعلى اولاده وكان صاحب طبلخاناه فى مصر
واتره على ما هو عليه من بلاده وارزاقه
وكذلك مشايخ العربان ثم ان السلطان سليم
امر باحضار خايربك وجنرلية وقال
ما تقولون فى حيله يكون بها تفريق شمل
الجراكسه قالوا له وما هى قال ائتونى
بفلان الكاتب وكان هذا الرجل يكتب
بالسبعة اقلام ويحاكى جميع الخطوط
بمصر فقال له السلطان اريد منك
ان تكتب لنا كتبا تحاكى منها خطوط
مختلفه عن لسان امرا مصر وابن الغوري
الى جانبي ما لهم معي فى الباطن ويحرضوني
على المجي ويكونون معي ويساعدون
على قتل طومان باي وعلان وكرتباي

الوالي فكتب الكاتب كتبا على لسان الامرا
المذكورين وربط الكتب واوصلهم رجل
من جماعة خايربك وامر بالذهاب الى وطاق
طومان باي وان يومي لهم بالقرب من مجلس
السلطان ويقف ينظر ما يقع بينهم من الخلف
ثم يرجع يخبر السلطان سليم ففعل ذلك فراه
الكاتب بعض مماليك طومان باي فاخذهم
واوصلهم الى استاده فاخذهم وقراهم فجمع
الامرا واخبرهم بذلك فانكروا كلهم ذلك
وحلفوا الايمان المغلظة ان هذا لم يصدر
منهم فتحير طومان باي وافتتن العسكر
وكادوا ان يقتلوا بعضهم بعضا فقال لهم
طومان باي ربما يكون هذا مكيدة من
الاعادي اكاذونا بها ليفتننا ولكن الله
تعالى يقيا بل كل منا بما يستحقه ولكن
كونوا

37

أوتوا على اهلكم لالقا عدكم فلما كان
يوم الثلاث اخر شهر ذي الحجة الحرام جات
الاخبار الى طومان باي بان السلطان
سليم دخل الخانكا فنادي السلطان طومان
طومان باي في عسكره ان كل من جابر اس
رومي له ما يريد من كل شي فصارت
فرسان الجراكسه تشن الغاره على عسكر
سليم و كل من استطرفوه اخذوا راسه
وجابوها الى طومان باي فصار يعطيهم
بسا ذلك قتبردي الغزالي فلما دخل
الليل جلس في خيمته وكتب كتابا وختمه
وذكر فيه جميع ما فعله طومان باي
وانه اخرج المدافع الكبار التي اوزموها
على الجبل لانه لو وصل جميع الات الحرب
في الربدانيه وتدابرت عليهم بدفنها

في الرتتل ليلا ينظرها احد من الدولسين

فيحتركهم وتر ميتلوا امني ذلك بعد جهد عظيم

مني فاني خشيت على عسكر السلطان من

ذلك البلا العظيم والصواب ان السلطان

يدور ويانى من جانب الجبل من صير ولو

رموا لا يفيدهم شي وارسل الكتاب

لخيربك فاوصله للسلطان سليم ففرح

بذلك واجزل عطا القاصد به ورد له

الجواب ورجع في جوف الليل الى ستين

الغزالي ولكل شي افة من جنسه ففي

صبيحة ذلك اليوم امر السلطان سليم

بالرحيل لاملاقات طومان باي

واما الامير علان والامير كرتبيه الوالي

انبتنا ردا عن بعضهم وان يحمي بعضهم بعضا

دعلموا ان الغزالي ملاخ عليهم وتحققوا

ذلك

طومان باي ...

38

ذلك وقصدوا قتله ولكن حسبوا
ان قتلوه تفتتن العسكر لانهم توكلوا
على الله تعالى واخلصوا نياتهم واتفقوا
انهم يقصد واصحاب السلطان سليم
ولا يرجوا الا ان يقتلوه او يقتلوا من دونه
فلما اصبح الصباح فطلعت الشمس اولا
وعسكر السلطان سليم قد انسكب من ناحيته
الجبل كالجراد المنتشر من قدام ظهور عسكر
السلطان طومان باي فارتجوا لما راوا
ذلك وايقن طومان باي بان عسكره ملا خ
عليه وان اشارتهم عليه بدفن المدافع
مكيدة منهم له ولم يرله حيلة بحيال الطعن
ممن يساعده الا التسليم لله تعالى فيما حل به
فلم يرم شي من تلك المدافع مطلقا الا رجل
واحد فكان اخرنا بحيال لها فما ساعه

الا التسليم لله تعالي فرمي الاخرس مرفعا
سمي المجنون رماه وهرب ففتح في عسكر
السلطان سليم زقاق فارتج العسكر الرومي
وظنوا ان خيربك والغزالي مكروا الجهز
فارسل السلطان خلف خيربك وكان
قريبا منه فقال له ما هذا الذي ذكرته
لي وقد اخبرتني ان مدافعهم ردموها
بالرمل فما هذا الحال وراي منه الغضب
فقال خيربك مهلا علي وارسل جاسوسا
يكشف الامر فغاب ورجع مسرعا وقال
رايت المدافع كلها مردومة بالرمل
وانما هذا رجل اخرس لم يردم مدفعه
بالرمل وابقاه سكشوفا وقال انا صاحب
لذلك فرمي به وهرب فاطمان السلطان
سليم فانهم لو رموا عشرة مدافع مثل هذا
ما

ما انقوا من الروم احد يود ولكن اذا
نزل القضا عمي البصر واما السلطان طومان
باي لا يشي من ذلك وانما قصد لصنجق السلطان
سليم هو والامير بن علان ولو تبعه الوالى
ثلاثة الوا في مشوارهم وهم يطعنون بالقنطاريا
حتى غاصوا في جموع الروم فلله درهم
من فرسان لقيوا هذا الجيش العظيم بنفوسهم
وليس الخبر كالعيان فلا زالوا يفرقوا ويطعنوا
حتى وصلوا لصنجق السلطان سليم وظن
السلطان طومان باي ان الذى تحت
الصنجق هو سليم فقال له يا سليم انت
ميز عنترسا لم وجد له من على سرجه
بيده اليسرى ورفعه باعلا راسه وخبطه
في الارض خبطة انطبقت اضلاعه بين
جنبيه وضرب الامير علان من على

ديار ابراراسه وكان محمود بن رمضان
صاحب ادقه ولذلك فعل الامير لرتبيه
الوالي بابن سوارشاه فلما فعلوا ذلك
توى قلبهم واستشفى غدايهم وبوبيت
الروم كانهم وقطيع عنهم بلا ازاعي فاعقبت
العزجه مرحه وظهر الذي قتل طومان
باي انما هو الوزير الثاني وكان يسمي
سنان باشا وسبب ذلك ان السلطان
سليم حسه هذا الحساب وغير ملبوسه
وتاخر في طرق العسكر وا وفق المذكورين
تحت الصنجق لفراغ اعمارهم وكان بصحبة
السلطان سليم خيربك وفرحات باشا
وهم مجهولين في طرق العسكر ومر عليهم
طومان باي عند رجوعه وصحبته علان
ولرتبيه الوالي وهم ينظرون اليه
فلم

40

فلم يعد واحد منهم يتعرض له ولا يقربه
مع انه لو علم انهم اتاهم ما برح حتى اخذ
روسهم ولكن انجى ما له قاتل فرجع
طومان باي من حملته تلك لم يرى
من عسكره واذا به منكسر والعدو في اثرهم كشف
عنهم هو والاميرين المذكورين وردّ فذا
الروم عنهم واذا اسيرته جات للامير
علان في فصته رجله لسر تها ودخلت
في حلب الحصان فتلبه لوقته فوقع من
ساعته الا ان علان حمل نفسه وهمز
عن الفرس فقبل ان يصل الى الارض
وحي له بجنب ركبه وقد ايس من الحياة
فزوح السلطان طومان ولوى
عنان جواده الى جهته فتاطربني وانيل
فلما عاين طومان باي ذلك اليس

من الحياه ولم يبق معه احدا الا كرتبيه
الوالي فقصد نحو القلعه وطلعوا من
خلفها فلا زالوا حتى نزلوا على بركة
الحبش وعادوا الى طرا واما الامير
علان فانه لا زال سايرحتى وصل
الى النيل وعدى الى بر المنوفيه
وذهب الى فلاحه ابن بغداد الامير
حسام الدين فلاقاه احسن ملتقى
وترحب به وارسل جا له عمر و بحي
عنزه نحو البوسين فراى من عينيه الغدر
وانه يريد يقبض عليه ويرسله لعدوه
فلما تحقق ذلك تاسف على نفسه وامر
بان تشتد له الحصان ويقصد ان يشم
الهوي وظنوا انهم لم يفطن بهم فلما ركب
حواده طلب سيفه وترسه وقنطاريته

ثم ركبوه

فلم

فلم يقدر احد يمنعه والتفت الى حسام الدين
ثم قال له ستنظرون يا خونه الله يخون الخاين
ولوى عنان جواده ولم يمنعه احد وكلما
لاقته سريه عرب يقول لهم انا علان فلم
يقدر احد يقربه فلازال حتى عدي الجزه
وقصد نحو الصعيد فلازال حتى قصد بلدًا
في اقليم البهنسا بلدًا يقال لها التوبره فنزل
عن فرسه واستقبل القبله ومات الى رحمه
الله تعالى فصلوا عليه اهل تلك البلده
ودفنوه في زاويه هناك رحمه الله واما
السلطان طومان باي فانه لما رجع الى
الحرب فلم يجد احدًا من عسكره الا وقد
ولى منهزمًا من كثرة البندق والزربطانا
فلم يستطع احد ان يقف امام ذلك فطلع
من وراي القلعه وقصد ناحيه طرا

والعروبة وتبعته بعض العساكر يتبعوا اثره سرية بعد سرية الى ان صار معه نحو السبعة الاف فارس الاعيان منهم الامير قانصوه كرت وقانصوه رحله وقانصوه العاجر وانس باي حاجب الحجاب وخشاي امير مجلس وشادبك الاعور وقانصوه العادلي كاشف المنوفيه وازبك المكحل وتاني بك النجمي والباقي مماليكهم واتباعهم واما الامير جان بلاط فتر يجول في قلب العدو ولا بقي يقدر على الهروب فلما ايس من معه صار يقاتل الى ورا والى قدام ولازال كذلك حتى وصل الى قبة الهوى فبطل جواده فنزل عنه وتركه وقاتل راجلا فلما راته الروم ترجل طمعوا فيه وقالوا هذا راجل ونحن رجال فانطبقوا عليه كالجراد فقتل منهم فوق الخمسين راجل وصادفته ضربة

42

منزلته فوقع الى الارض ووقعوا عليه بالسيوف
حتي صار لا يعلم له راس من رجل رحمه الله
ما كان اشجعه من رجل يقاتل الوفا من الرجال
ولقد انصف القايل الكثره تغلب الشجاعه
وكذلك وقع للامير قانصوه رحله في الرميله
قبل ان قتل بيده نحو الماتيه وخمسين رجلا
من ابطال الروم حتي قتل واما باقي العسكر
الجركسيه منهم من قتل بالبندق ومنهم من هرب
ومنهم من تبع السلطان طومان باي وبانت
مصر ليس منها جركسي الا ان كان مخفي وبعد
ذلك دخل خيربك على السلطان سليم
وانه اخبره بما وقع وانه امر صوب ارسال
شاه ملك القلعه وليس بها احد غيره والراي
لما يراه مولانا السلطان فشكره السلطان
على فعله من تمليكه مصر الذي مانت بحرمتها

الملوك فقال السلطان لخاير بك صف
لي مصر كاني انظر اليها فوصفها له من اولها
الي اخرها فاختار النزول عا شاطي النيل
في الجزيره الوسطانيه وانما طلع الي القلعه
في ساعته وجلس علي المسطبه التي تجاه الديوان
وقال علي الغور خيفه علي نفسه من العدو و
من احد من الاعادي و بات في الجزيره
فلما تم انه سرع في ارسال العساكر الي السلطان
طومان باي فلم يجدوا بمصر جركسيا وبانت
مصر ليس فيها منهم احد واما طومان باي
فانه سار بمماليكه الي ناحية طراو العدويه
وتبعته العساكر الجركسيه حتي بقي معه نحو
السبعة الاف خيال فاقتضى رايهم بالرجوع
الي مصر وان يحاربوا عدوهم الى ان يغلبوا
فرجع طومان باي ونزل في الشيخونيه وتفرقت
العساكر

49

العساكر في الحارات من الروم نحو العشرة
الاف واكثر في ليلة واحده ثم اصبحوا نحاربهم
عساكر الروم من جهة الكبش ومن جهة
حدرة البقر فاقتتلوا مرات متعدده وظهرت
الجراكسه وقتلوا منهم نحو الستين الف في ثلاثة
ايام وكل مره ترى الروم منهزمين فعند
ذلك اقتضى راي السلطان سليم ان يركب
هو بنفسه ويأتي من جانب القرافه ويلقي
طومان باي في الرمله فاقبل له واقبل
عليه ونوى ان وقعت الكره عليه يتم ساير
الى بلاد الروم فلما فعل ذلك وجا الى الرمله
اطبق الجو من ضربات البندق والزربطانات
فلما سمعت الجراكسه ذلك ظنوا ان العدا
كانوا غالبين مستبشرين بالنصر فضربت
غالب عسكرهم وقالوا من يقابل هذه النار

المهلكه واما طومان باي فانه لم يهرب
وحطم حطمة الاسد الغضبان وقتل منهم قتلى
حتى كل ساعده ولكن ماذا يفعله الواحد في
مايتين الوف ثم رجع فلم يرجع خلفه احد من عسكره
فلا زال السلطان طالباً لخوا الشيخونيه فلم
ير احد وكان قد تواعد مع عسكره انهم ان حصل
لهم هزيمه ميعادهم الجيزه فذهب الى مصر
العتيقه عدى الى بر الجيزه وتبعته مماليكه
وبعض العساكر حتى يقفوا لخوا الالفي واما
السلطان سليم فانه رجع منصوراً الى لخوا
الجيزه الوسطانيه وارسل الى خاير بك
فقال له ما الراي عندك قال له لم يبقى
لهم بعد هذه الصدمه راس تنفا فرابدا
وقد هرب غالب العسكر ولم يتبعوا طومان باي
فالراي عندي نادي لهم بالامان وبعد

44

ثلاثة ايام كل من وجد عنده جركسي مخبي
يشنق على باب داره وكل من كان عنده جركسي
واخبر السلطان وقبض عليه فعليه الامان
هو ومن يلوذ به فتفتيت اولاد مصر كل من
كان عنده جركسيا ياتي الى خيربك ويخبره
عن هذه فيرسل لها جماعة يقبضوا عليه
وياتوا به الى وطاق السلطان سليم يضربوا
عنقه ويرحوه في البحر فمن جملة من كان
مخبي كان الامير كرتباي الوالي فانه جاته
بندوقة في فخذه اضرته فما ساعده الا الدهر ب
فاختفى عند رجل من اصحابه من المباشرين
يسمى يحيى ابن بكر فلما سمع بالندا قال
في نفسه احق ما افعل اني اذهب الى
وطاق السلطان سليم واخبره بان
كرتباي الوالي مخبي عندي وان يرسل له

منديل الامان وانه قابله والتقى شره ولصير

لي يد عند السلطان فجا الى السلطان واجتمع

به مع خايربك ففرح السلطان لذلك فاوعده

بان يعطي له اي منصب شا وارسل معه

منديل الامان والمصحف وكتب له كتابا

انه اذا جا وقابله لا يفعل معه شي وعليه

امان الله ورسوله ولا يرى منه الا الامان

ورجع ابن بكر الى كرتبيه الوالي وبشره بالفرح

واجتمع بالسلطان سليم واعطاه منديل

الامان وها هو حين له عباره في المقابله

ويصير امنا على نفسه وماله وعياله ودخل

راسه الجراب واجاب في المقابله وقام

من ساعته وركبا سوا الى الوطاق فلما راه

خيربك فرح به فرحا بورث ترحا وقال

يا امير كرتبيه ابن عقلك تتبع هذا المجنون

المخالف

45

المحاطر بسفينه لنير الي طومان باي وسوف
تري كيف ياتي به ذليلا حقيرا اولكن جيت
طايعا مختارا فما عليك خوف بعد هذا اليوم
ثم دخل خير بك على السلطان واخبره بمجي
كرتبيه فخرج السلطان الى ظاهر الخيمه
وجلس على كرسي نصبله ونظر الى كرتبيه
الوالي وقال له انت فلان قال نعم قال
له اين مروتك اين شجاعتك قال له ياقيد
علا خالها قال اتذكر ما فعلته في عسكري
قال لا اعرفه ولا نسيت منه شيا قال ما فعلت
في ابن اسوار قال قتلته مع جملة ما قتلت
من عسكرك بعد ان عرف من عين السلطان
الغدر وان يخوفه وما هي له منها خلاص
وترك الادب وتكلم بكلام من ايس من الحياه
وجعل عينه في عين السلطان سليم ودفع

بده اليمنى فى وجه السلطان وقال له
اسمع كلامى واصغى اليه قد تعلم انت وغيرك
انا منا فرسان المنايا والموت الاحمر لو بلى
واحد منا بعسكرك لافناه وحده واذلهم
تصدق حرب امر عسكرك ان يتركوا ضرب البندق
فقط وها انت معك ما بين الوف من
كل جنس وقف مكانك وصف عسكرك
ويخرج لك ثلاثه انفار انا عبد الله والفارس
الكرار ظومان باى والامير علان وانظر
بعينيك كيف تفعل هذه الثلاثه تبقى تعرف
روحك ان كنت ملك او تصلح لنيل الملك
او تكون ملك فان الملك لا يصلح الا لمن
يكون من الارطال المختبره كما كان عليه
السالف الصالح انظر فى التواريخ ما كان
فى الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وخذل

46

وحزل بما عنده من الشجاعه وكذلك
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه واما انت
لعتب لك عساكر من اطرف الدنيا من نصاري
ومن روم وغيرهما وجيت بهذه الحيله التي
تحمل بها الانرح لما ان عجزوا عن ملاقات
عساكر الاسلام وهي هذه البندقيه التي
او رميت بها امراه لمنعت بها كذا كذا اشيا
ونحن لو اخترنا الرمي بها ما سبقنا اليه
ولكن نحن قوم لا نترك سنه نبينا محمد صلي الله
عليه وسلم وهو الجهاد في سبيل الله بالسيف
والعود والله يويد بنصره من يشا وكيف
ترمي بالنار علي من يشهد لله بالوحدانيه
ولنبيه بالرسالة وقد دخانا لهذه البندقيه
رجل مغربي للسلطان الملك الاشرف
قانصوا الغوري رحمه الله وقاتل الاسلام تله

واخبره ان هذه البندقية ظهرت من
بلاد البندقية وقد استعملها جميع عساكر
الروم والغرب وهي هذه فامره بان يعلمها
لبعض مماليكه ثقل وجي بهم فرموا بحضرته
فساه ذلك وقال المغربي نحن لا نترك سنة
نبينا ونتبع سنة النصاري وقد قال تعالي
في كتابه العزيز ان ينصركم الله فلا غالب
لكم فرجع المغربي وهو يقول من عاش ينظر
هذا الملك كيف يوخذ بهذه البندقية
وقد كان كذلك ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقال السلطان سليم حيث ان
منكم الشجعان والفرسان وانتم على الكتاب
والسنة كما زعمت فباي شي غلبنا كم ومن
ارضكم اخرجنا كم واستعبدنا اولادكم
وافنينا جموعكم وها انت جيت اسيرا بين
يدينا

يدينا فقال الامير كرتباي والله ما اخذتم
ارضنا بقوتكم ولا بفروسيتكم وانما ذلك
امر وقضاه الله تعالى وقدره في الازل
وقد جعل الله لكل شئ بداية من جنسه
ولكل بداية نهاية كما ان لكل دولة مدة معلومة
وسمة معتوهة وقد جرت عادة الله تعالى
تعالى في خلقه ان الايمة المتهدين
ان الملوك والسلاطين وانت ايضا
ان يخرم هذا النظام وما اظنك الامن
قال في حقهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
كيف بك اذا وقفت بين يدي رب العالمين
فاغتم منه السلطان ولكنه اظهر الحلم
وفؤاده يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ
عليه كرتباي واقام عليه الحجة ثم قال له
واما قولك انك اخذتني اسير فانه كلام

باطل وانما جاني رسولك بكتاب من
عندك مختوم بختمك وها هو فظننت
انك تتقى عند قولك فما رايت من ذلك
شيئا ومما ورد في هذا المعنى المومنون
عند اقوالهم والمومن ان قال صدق وان
قيل صدق قال تعالى واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها الاية فازداد السلطان سليم
غيظا ولكنه اظهر الحلم تصنعا منه واما
خايربك فقد طاطا راسه وبقي العرق يقطر من
وجهه ومما ورد ايضا في الحديث الشريف
اربع خصال من كن فيه فهو منافق او من
غدر واذا عزم نكر واذا خوصم فجر
واذا قطع هجر وانت تزعم انك تريد
خادما للحرمين الشريفين فانك من
اهل

من اهل العدل والانصاف فما رايناشيا من ذلك وانما رايناك من اهل الجور والاسراف يا ويحك لم تنادي للناس بالامان واذا جاوك تخونهم ولكن كفاك ان اسمك سليم خان والله قد راينا في التوا ان الملوك التي من قبلنا من الاتراك والاكراد ان النصارى اذا قال لهم قولا وحلفت عليه لا تخلف فيه وهو نصارى فكيف من يدعي انه من الملوك العادله يريد ان يكون خادما للحرمين الشريفين وهو لا تصدق في قول يقوله والكذب سمة المنافقين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا يغرنك ما انت فيه وما اصبحت دولتكم فيه من اقبال فانه لا بد لكل اقبال من ادبار ولكل جمع من تفريق ولكل اجل

من الاضرام والكل توفيق من اختلاف
ولكل فرح من ترح وقد كنا نحن اقوى
منكم واشد باسا واعظم مراسا وانظر
كيف فعلت بنا هذه الدنيا الغدارة المكارة
ولعمري ما حصل لنا ذلك اما سمع واحد
بمصر ذي امر عسكرك بان يضربوا على برك
ويبرزوا الى مائة بمائة او مائتين بمائتين
او الف بالف وانظر ما اصنع فيهم كل
ذلك والسلطان سليم ساكت وهو
يصغي الى قول كرتبيه وحراسته على هذا
الكلام واستحضاره هذه الاجوبة
مع انه متحقق الهلاك لا محال فقال له
السلطان كيف استبيك على عسكري تنزعهم
انا لا افعل ذلك مطلقا فقال حينئذ كان
لذلك فبأي سبب لدمنا تردد بنا واتنا

والله

49

والله لا يهمنا كثرة جموعكم ولا ارميكم باحجار ركم
ونبدد فكم وانما كان السبب لرزق الناخلق
لرسا فنظر السلطان الي خبيرتك فامر
بان يتقرب منه حتي يشاوره في امركرنتيه
فلما وقف بين يديه قال له ما تقول
في هذا الرجل وجرئته وقوة قلبه ان
قتل مثل هذا لا يليق وليس في عسكري
مثله وانا نحربه في عسكري واجعله
صنجقا فاصفر لون خابربك وقال
يا مولانا السلطان ان القيت عليه
وجعلته وزيرا اعظم لا يبقي عليك مملا
عا ويفني جميع عسكرك وانما قال ذلك
خاير بك الا بغضا فيه وفي ابنا جنسه
فقال له السلطان فما الراي قال له
اضرب عنقه واكتفي من شره وتاخر خير بك

ووقف مكانه ولونه مصفر فعرف الامير
كرتبيه انه حنق للسلطان قتاله فقال
للسلطان انظر هذا فابدك لحجهنم
اصنع ما شئت انت وهو ومن لم يمت بالسيف
مات بغيره فعند ذلك نظر السلطان اليه
اليه نظرة الغضب وقال له اني اردت
ان اعتقك وامزح عنك واجعلك اميرًا
من امرائي وزرائك قليل الادب جري
اللسان فقال له الامير كرتبيه معاذ الله
ان تكون من امرائك او من اتباعك وانت
بهذه الصفه فنادي السلطان باعلا
صوته وقد احمر وجهه من شدة الغيظ
اين الجلاد قال نعم قال اضرب هذا الجركسي
فقال له كرتبيه قطع راسي وحدي لا ينقص
منه شئ فان قد رأي ابطال وشجعان وفرسان

60

وفرسان ولكن بالسلطان طومان باى
رضي الله فلما سمع السلطان سليم ذلك
امر السياف ان يضرب عنقه فضرب السياف
عنقه وذهب الى رحمة مولاه ان ربك
يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون واما السلطان طومان باى
ناله لما وقعت الكسرة على الجراكسه
كان وعدهم قبل ذلك قال ان جات
الكسرة علينا يكون ميعادنا بر الجيزه
فلما كان لذلك عدى الى بر الجيزه
وتبعته بعض الجراكسه حتى صار معه
نحو الالفين خيال لكن منهم كل فارس
مقوم بالوف الا ان الكسرة علينا الشجاع
والنار لا يقابلها احد ولولا النار الحن
مع السلطان سليم ما سد معهم في الحرب

ولا امره ولكن اذا اراد الله بامر بلغه
والله في هذا اراده فذهب السلطان
طومان باي الى نحو الصعيد وقصد
الي هوراه وطلب منهم النصره له وان
يرفع عنهم الخراج ثلاث سنوات فابوا
وقالوا قد بلغنا ان الروم لا تقاتل
الا بالنار ومن بطق النار فانه شي
راجفا وتبعه من العربان نحو السبعه
الاف محبة فيه فانه رحمه الله تعالى
كان محبوب الصوره لكل احد ولكن
اذا تم الامر تولى زوالا اذا قيل تم
فلا زال قادما حتي وصل الى قرب اطفيح
فرأى بلاعا بكثره وهي مقلعه فلما
عاينها وقف وقال ما اظن ان السلطان
سليم جانا او ارسل لنا جيشا فلما عا
ينوا

٩١

فلما غابوا بعضهم دخلت المراكب البر وطلعوا
ومعهم من الرماة نحو لخمسة الاف رامي بالبندق
وخمسين زردخانه وكان المقدم على ذلك الجيش
رجل يسمي كاشف الفيوم فانه كان مع السلطان
طومان باي بعد كثرة الزيدانيه واجتمعوا عند
طراوا العدويه واتفق رايهم انهم يكبسوا علي
السلطان سليم بالجزيره الوسطانيه التي بين
بولاق ومصر ابن العيني فلما علم ذلك قال في نفسه حاير قال الصح
احق ما افعل ان اذهب الى السلطان سليم
واخبره بذلك واخذ لي منه امانا واكون من
حزبه فان دولتنا قد ولت فخرج ليلا من
عسكر السلطان طومان باي وامير اخر
يسمي ابو احمره وتبعهم مماليكهم نحو المايتين
نفس فلما اصبحوا اعلموا بان حاير قد خرج
ليلا فاستقصوا اخبره فقال بعض الاخبار

للسلطان طومان قد سمعناه وهو يقول
ان الذي يريد السلامة يتبع السلطان سليم
فان اسمه سليم ومن تبعه سلم ومن عصاه ندم
فتكدر السلطان طومان باي وقال سيندم
حيث لا ينفعه الندم وهل يرتجي من العقرب خيرًا
ذلك لا دافع لله فيما قضي فلما اجتمع جانبرد
التيفي بالسلطان سليم واخبره انه جار اعنا
في طاعته وان السلطان طومان باي قد
عوّل على كبسة في هذه الليلة القابلة فاخذوا
اهبتهم واستوطنوا لانفسهم فخاف الاحباز
للسلطان طومان باي بان جانبرد الغزالي التيفي
دخل في طاعة السلطان سليم واخبره
بانك تريد تكبس عليه فاخذوا اهبتهم وعبوا
النار من كل جهة فان فعلت شيئًا من ذلك
اهلكت نفسك ومن معك فلوى عن ذلك

فانتضى

69

فاقتضي رايه ان ينزل في المشيخونيه وحارتهم
كما تقدم ثم انكسر فذهب الي الجيزه فلما علم
السلطان طومان باي ان هذه المراكب ما
جابتها الا جانم السيفي فانه لما اجتمع
بالسلطان سليم وظهر صدقه عنده فكفي فلق
السلطان كلما جلس في ديوانه يرسل خلف
خايربك وجانم هذا ويامرهم بالجلوس
في حضرته وليستشيرهم فيما فيه الصواب
ويظهر لهم ان تمكن من ملك مصر يعطي خيربك
باشية مصر الي ان يموت اقطاعا ويعطي الفيوم
لجانم السيفي اقطاعا ثم قال لهم قصدي ان
ارسل لطومان باي جبينا لعل ان اظفر به ارسل
فقالوا المحبة وكرامه فقال ما شيتم فاننا للامر
طايعون ولرايك سامعون فقال من يكون
باش علي العسكر فقال جانم السيفي انا الفيك

في ذلك وانا ارجوا ان لا ارجع الا براس طومان
باي اذا قبض عليه قبضا باليد واتي به اسيرا
فشكره السلطان علي ذلك وارسل معه خمسة
عشر الاف فارس وخمسة الاف رامي بالبندق
وخمسين زربطانه وخلع عليه خلعة عظيمة
وخرج حرجة اطبقت الجو حين اقلع ورمت
الرماه طلقا اظلم الدنيا وايقنت الناس ان
طومان باي لا طاقة له بهذا الجيش وخصوصا
جانم السيفي هو المقدم عليهم وكان جانم هذا
من الابطال المشهوره والشجعان المخبوره
فلما عاين عسكر طومان باي امر بدخول
المراكب البر وطلع جميع عسكره الي البر وضربوا
طلقا زلزلت الارض وارسل الي طومان باي
يقول له في غدا الحرب بيننا وبينك فقال له
حبا وكرامه فلما اصبح النهار تصافوا للحرب

فاما

٤٩

فاما العرب الذي كانت تجمعت مع السلطان
طومان لما رأت هذه النيران فقال لبعضها
ومن رطوق هذا الامر المهلك لا يقاتل هولاء
الا المحزون او فرغ عن الحياه ولكن نرجع عن
هؤلاء الي بعيد فكل من رانيا الكره عليه لهنباه
هذا ما كان من امر العرب واما السلطان
طومان باي فانه ثبت للحرب ولم يتاخر
عن مكانه فكان اول من خرج في حومة
الميدان جانم السيفي ونادا باعلا صوته
لا يبرز لي الا طومان باي ولعب اندانا في
الميدان حتى ادهش الناظرين وقوي قلب
الروم حين راوا منه ذلك وقالوا ما بقا
طومان باي في الفروسيه الا هذا البهلوان
وصاروا ينكرونه فكلما سمع منهم ذلك زاد
في لعب لا يذاب حتى تعجب الحاضرين من الروم

نوجهه عنه

وقالوا هذا الفارس الكرار ثم بعد ذلك وقف
في حومة الميدان وقال للجراكسة اين فرسانكم
اين شجعانكم فخرج من بينهم فارس كانه الباشق
اذا انقض علي الصيد وقال عز عليك نفسك يا جانم
وعتت ابنا جنسك فسود الله وجهك يا خاين فقال
ابطل ذا الكلام وابرز للضرب بالحسام فقال له
اصبر حتي اوريك لعب الاندلس كما صبرنا لك فقال
لدونك والميدان وكان ذلك الفارس هو
الامير دولتباي كاشف الحيزه فلعب في الميدان
انذاك فاق عليها جانم فتعجب الروم وقالوا لو
علم السلطان سليم وعلمنا ان هذا القوم بهذه
الصفه ما جينا بلادهم ولكن ما بقي الكلام
يفيد وانقطعت قلوبهم وقالوا ان هولا القوم
كل واحد منهم بجيش وحده ثم التطموا الاثنين
جانم ودولتباي ووقع الحرب وتحيرت النظار

من

بقوم

54

من اول النهار الى بعد الظهر فلما راى جانم من
خصمه رمى الرمح وجذب السيف وضرب دولتباي
على خوذته قطعها وجرحه جرحا خفيفا غير
بالغ فلما ساح الدم عيطت الروم باجمعها
عقار بثم عقار بثم قوي قلب جانم وضرب خصمه
ضربة ابري الرمح فبقي الرمح في يد دولتباي
من غير حربه فالتفت الركيز وحدفه على جانم
فدخل الركيز في جنبه اشتك بين اضلاعه فوقع
عن جواده فنزل دولتباي ليقطع راسه وكانت
تتدفق عليه الروم بجملتها فلم يتمكن من عدوه
فما ساعه الا تركه وانثني على جواده والتطم
الجيشان فلله در الفين تقاتل عشرين الف
وكسروهم حتى اذ فعوهم في مراكبهم وكان
النهار قد ولى فنزل عسكر الروم الى المراكب
وعدي الى ذلك البر واما السلطان طومان باي

بات في البرا الغربي فلما جن الليل جلس السلطان
طومان باي ودعى الامير شادبك وبقية
الامرا وضربوا النوره وأقتضى الراي ان
ينقسموا فرقتين فرقة مع الامير شادبك
وفرقة مع طومان باي وان يذهب الامير
شادباك الى بعد ويبق السلطان طومان باي
في موضع المعركه فإن عدوا الأروام وجا
وا إلينا اخذناهم مواسطة وأتفقوا على ذلك
واما العسكر لما اصبحوا قالوا للحاكم ما الراي
قال نذهب للحرب اما بنا او لهم ولعل ترجع
ولعل ان نظفر لهم فلما راوا الحاكم مصمم
على الحرب قالوا له انت بخروج دالبس ليحي
لك قدرة على الحرب فقال انا واحد وانتم
وانتم الوف تحتاجون لواحد وكان
الخاطب له اغاة الانكشارية فلما سمعوا

منه

منه ذلك قالوا البعضهم صدق في قوله
فعند ذلك انفذوا الي البر الغربي وطلعوا الي موضع
المعركه وراوا قتل منهم الفين وخمسمايه
وقتل من الجراكسه سبعة عشر نفسا فقالوا البعضهم
فقالوا البعض ما هولا الجراكسه الا جن فكيف
بنا لو لم تكن معنا هذه النيران فكيف كان
حالنا ولكن ما بقي لهم مناص الرجوع من
غير حرب فبادرتهم الجراكسه بالحرب فالتطموا
بهم في قوة الحرب واذا بالامير شادبك جا
من خلفهم بعد ان اخذ المراكب التي على
الساحل بحملتها فما افلت منهم غير
مركبين وارسل الجميع مع عشرين جندي
الي وطاق السلطان طومان باي وانطبقت
على الروم الفرقتين من الجراكسه وهم
في كل فرقة الف خيال والروم نحو العشرين

الف

بما معهم من العربان ثم ما مضي غير ساعة
حتي انكسرت الروم وقصدت المراكب
فلم تجدهم فانقطعت قلوبهم وتقهقر الجراكسه
فانتزهم عن اخرهم وما نجي منهم سوي جانم
وابو حمزه واغاة الانكشاريه المسمي بابانس
اغا فانهم لما انهزموا قصدوا المراكب
فلم يجدوها فاطلقوا عنان خيولهم
علي شاطي النيل فتبعهم قاضي العادلي
لكن كان بينه وبينهم مسافة رديا العين
فلم يدركهم فنجوا بنفوسهم فقط وجميع
ما كان معهم من الزرزطانات والبندقيات
من الات الحرب وغيرها كله بجملته قسمته
الجراكسه واما جانم واغات الانكشاريه
فانهم لازالوا سايرين علي شاطي النيل
حتي لحقوا بالمركبين الذين انفلتوا من الامير
شادبك

96

كما تقدم فيما صدق قوا انزلوا وارحوا في البيار
فلما راهم قانصوه العادلي قد طلعوا في
المراكب اليه من خصايلهم فرجع متاسفا
الذي لم يبلغهم ولكن الحي ماله قاتل وقد
كان السلطان طومان باي انفقد من قبل
فوجدوهم خمسة وثلاثون رجلا كلهم قتلوا
بالبندق وليس بعضهم ولا احد قتل بالسيف
فان في الحقيقة لولا البندق والزربطانات
التي كانت مع السلطان سليم والا كان
انهزم من اول مرة كما حصل في مرج
دابق ولكن اذا اراد الله بامر بلغه ولم
تعد قوة الجراكسة والامر ولهم شيا مع انقضا
الامر اذا ابدا شيا بدا انقصه بعضي زوالا
اذا قيل تم فانهم كانوا تمكنوا في الديار
المصرية والشامية واليمنية ودامت لهم البلاد

والعنا دو وظنوا ان لا يقدر عليهم احد من
الملوك ولو اجتمعت عليهم الارض فانه كان
فيهم كل فارس يقوم بنفسه علي جيش وحده
وكان فيهم كفاة لذلك ولكن اذا انزل القضا
عمي البصر ولا دافع لله فيما قضى وانما الارض
لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين
وقال تعالي قل اللهم مالك الملك الايه ويرجع
الي سياقة الحديث فلما رجع جانبرد وابو حمزه
والاغا منهزمين وقتل جميع عسكرهم وعلم
السلطان بذلك اكاد ان ينفلق من شدة
ما حصل له من القهر وارسل خلف خاير بك
وقال له قد غررت بنا وادخلتنا في بلاد
هولا القوم ولا احد يسهل عليه ترك بلاده
من القهر ولو ان طومان باي اعطاني السكه
والخطبة باسمي لرجعت عنه من الشام ولكن

57

دست

هذه الارض برجلي فقال له خاير بك يامولانا
السلطان ان طومان باي رجل عاقل وانا
اعرف انه ليس له رغبة في ان يكون ملكًا
وانما السلطان الغوري اوصى جميع امرايه
ان صابه شي يسلطنوا عليهم الامير طومان باي
لما يعلموا من عقله وذهنه وفروسيته وشجاعته
فانه فريد عصره وبعده الامير شادبك
الاعور والامير علان وقد جابني خبره وانه
جا له زربطانة في فخذه كسرته وكربته
الوالي ولا قدرته وهو واقف بين يدي
وهو متحقق انه لم يبقى له منها خلاص ومع
ذلك اقول له انني اريد ابقي عليه واعف
عنه واجعله من امراي فلم يرضى ولم يتكلف
نفسه لشي من ذلك واختار الموت ولم يدخل
تحت طاعة عدوه فلو علمت ان هولا القوم

بهذه الصفه ما دخلت لهم ديارنا ابدًا ولكن
انت اغررتني وطمعتني في اخذ هذا الاقليم
فانظر كيف تصنع ودبر نفسك كيف تعرف والا
فهي بينك وتحذر راسك واغتاظ السلطان
من خبريك غيظا عظيمًا فخرج من عنده وهو
اعمي اصم لا يعرف كيف يصنع فلقيه يولس باشا
فقال له ما خبرك فاخبره بما قال له السلطان
فقال والله صدق السلطان في قوله والله
لو سمع مني لاشرت عليه بان ينادي في عسكره
بالرحيل ونرجع الي بلادنا واوطاننا
ونحن طيبين فانك لاجل غرضك وكراهيتك
في اينا حبك جوزتنا بين قوم يعلمون الجن
خلفا عن الانس ولكن ما بقي الكلام يفيد
فخاف خايربك علي نفسه وحسب الحساب
في ان يولس باشا يكرهه وربما يتكلم مع

السلطان

السلطان في حق خاربك فيقتله فاتني
راجعا الي خيمة السلطان واستاذن فاذن
له في الدخول فقال له السلطان ابتدانا الذي
دبرته من الراي قال ليعلم مولانا السلطان
انني ما جيتك الا راغبا لطاعتك ومحبا لك
واريك علي جميع ابنا جنسي وقد اطلعت علي بعض
الملاحم ورايت الرموز انك ستملك هذا
الاقليم وتصير ملك الاسلام فان من خادما
للحرمين الشريفين كان هو ملك الاسلام ولكني
يا مولانا السلطان اريد منك ترديني لا تقبل
في حقي كلام احد الا بما يقتضيه رايك السديد
فان اقتضي رايك ان تقتلني فافعل فاني
حاللتك من دمي فتبسم السلطان في وجهه
وقال له لو لا تحقيقي بمحبتك ما طاوعتك
وجيت الي هنا ولكن كن بنا في تدبير باتيه

الصلاح لنا فقال والله يا سيدي لا ابقي
ممكنا في نصرتك ولو بروحي فشكره السلطان
على ذلك وامر له بخلعة عظيمة فلما رجع
من عند السلطان وهو لابس الخلعة ورآه
يونس باشا وهو قادم عليه علم انه دخل
على عقل السلطان ومشي معه على مراده
فقام له داخله ظاهرا مع الكراهية له
باطنا فقال له ما الذي اقتضاه رأي
الامير قال ما يكون الا خيرا وارجو من
الله ان يمكننا من طومان باي ونأتي به
اسيرا بين يدي السلطان فقال له يونس
باشا ان صح ذلك لان يبعد السلطان
قال ان شا الله يكون ذلك ونرجع الى
سياقة الحديث فلما رجع جانم وابو حمزة
وابانيرا غانم منهزمين الى وطاق السلطان

سليم

59

سليم تكدر السلطان وندم على ارسال حاتم
واكادان ينفلق من القهر ثم انه عمل ديوانًا
فلما حضرة الوزرا والامرا قال اين خاير بك
فجاه ونهض بين يدي السلطان فقال له
ما تقول قال الامر امرك ونحن بين يديك
مهما امرتنا به فعلناه ولو ان فيه هلاك
ارواحنا قال السلطان ان قلبي حس
من الاول ان جانبرد يلبس هو وقنصوه طومان
باي وحتى الملاقات في حومة الميدان ولكن
اني اريد ان ارسل له كتابا بالامان مع
قاصد عاقل غارق برد الجواب فلعل
ان الله تعالى يهديه ويقعده على بلاده
واخبره اني رضيت منه بالاسم فقط لاني
اخترت سلطان الاسلام ونصرني على مرتبة
على ملوك الارض بخدمه الحرمين الشريفين

وتحمل السكة والخطبة باسمي وارحل عنه فقد طال المطال وكلما نرسل له جيشا يهزمه ولا ينجوا منه الا كل طويل العمر واخشى انه اذا قل عسكرنا وعلم ذلك حطم علينا حطمة لا ينجوا منها الا القليل منا فقال خير بك يفعلوا لانا السلطان ما نقتضيه في ارسال البولاق ولكن انا اعرف انه لا يوافق على شي من ذلك وربما قتل القاصد فقال السلطان اذا لم يوافق والا انا القاه بنفسي والله ينصر من يشا فعند ذلك فعند ذلك ارسل له قاصدا يسمي مصطفي وكان عاقلا عارفا طلق اللسان اديبا فارسله وارسل معه خمسماية نفس لان الطريق كانت مخيفة من العربان فلما وصل الى وطاق السلطان طومان باي وكان بالقرب من منية بني خصيم

ترجل

جميع

ترحل عن فرسه ونزل ومن معه واستاذن
في الاجتماع بالسلطان فاذن له واوصل
المكاتيب للسلطان فقراها السلطان واعطاها
للامير شادبك فانه ارسل لكل امير كتابا
بالخصوص يخبرهم انه لا حاجة له ببلادهم
وانه ما يريد الا الاسم فقط وانه كل من قابله
اخلع عليه واعطاه مرسوما بالامان
وانتم على ما انتم عليه والله يخون الخاين
واوثق كلامه بايمان واقسام فقال السلطان
ما تقولون يا اغاوات فقال الامير شادبك
امارى في قتل هولا الطايفه التي ساقتها
القدرة الالهية الينا فنكتفي شرها واما
ما لك نفسك لطاعة عدوك فلتعلم ان
ما بينك وبين الهلاك سوى حتى تصل
اليه وتقف بين يديه فتصير الامان خيانه

والعزة اهانه وتكون كالذي القى بنفسه
الى الهلكه وطلب منه السلامه وتندم حيث
لا ينفعك الندم واما انا فلا ادخل تحت
طاعة عدوي في عمري ابدًا وذلك اني
اعرف ان كل احل الي الممات وقد جعل الله
لكل شيء ميقات فلا ان دخلت تحت طاعة
عدوي يزيد في عمري فعلي ان الموت لا مفر عنه
وان كل حي لابد له منه فاقتضى رايهم بان
يقبضوا علي القاصد الذي جاه ومن معه
وضربوا رقاب الجميع وكانوا يزيدوا على
الف ادمي ثم امر السلطان طومان باي
بالمسير الي جهة مصر فلا زالوا سايرين
حتى اشرفوا على بركة الحبش فراوا لها
وطاق السلطان طومان وسليم وهم
من ذلك البر على البعد فوقفوا ينظرون

ويتأملون

61

ويتألمون وان يضربوا الراي كيف يصنعون
واعلموا ان السلطان سليم ما خرج الي بركة
الحبش لا يريد الا الحرب ويريد ان يعدي الي
بر الجيزه فهم واقفين واذا بكردوس من الخيل
قادم عليهم واذا به الامير زمك الناشف
تقدم الي السلطان طومان باي وقبل يديه
واعتذر له بانه كان محي لسبب جراحه اصابته
في الريدانيه واخبره بان قنبردي الغزالي
كان راس الملاخين عليهم حين اخرجوا المدافع
وامرهم بردهم تحت الرمل وكان هذا
غاية المعاكسة لهم فقال السلطان
والله اني عرفت انه ملاخي علينا من اول
مره لما ان ارسلته بالجيش فقتل اكثره وانهزم
فعلمت انه بالقصد منه ولكن ارجوا من الله
تعالي ان يرمي كيده في نحره واما السلطان سليم

فانه لما جاه جانم واتو احمره منهزما واخبره
بما جرى له وان السلطان طومان باي قادم
بجموعه الذي جمعها فارتاب السلطان سليم
وقال كلما اظن ان الامر قد هان فما
انتظره الا ازداد شره فعند ذلك امر
يونس باشا بان ياتي بالامرا الممسوكين
عندهم بانهم كانوا نادوا لهم بالامان
فكان ذلك مكيدة من خيربك فتمعوا كل من
ياتيهم يحبسونه ويوعدهم خيربك انه اذا تم
الامر للسلطان سليم فانه يطلقهم ويبقيهم
على مراتبهم ومناصبهم التي كانوا عليها
فلما جات الاخبار بان السلطان طومان
باي قتل القاصد الذي ارسله السلطان
سليم وجميع من معه فاغتاظ السلطان
غيظا عظيما كثيرا وارسل احضر الامرا
المحبوسين

بالامان

62

المحبوسين بقلعة الجبل من الحر الكسه وامر بضرب
اعناقهم اجمعين وكانوا نحو الستين امير منهم
ما هو امير مائة مقدم الف ومنهم ما هو امير
اربعين ومنهم ما هو امير عشرة فلما حضروا
بين يديه سالهم عن مناصبهم فاخبروه فقال ل
لهم لم تركتم ملككم وجيتوا الى عدوكم قالوا
اثرنا خدمتك على طاعته واخترنا ان
نكون من اجنادك فقال لو كان فيكم خير
كان لسلطانكم طومان باى الذى هو
فريد عصره فى الشجاعه والفروسيه والله
لو جانى طايعا وقابلنى لابقيته على بلاده
فانى لا اريد الا الاسم بان اكون خادما
للحرمين الشريفين ولكن انا اعرف ان الشجا ع
لا تنكر نفسه ان يكون تحت حكم عدوه واما انتم
لو كان فيكم خيرا ما تركتوه وجيتم الى

وهو الذي كان في عثمان البرمكي[?]

ثم بعد ذلك امر بضرب اعناقهم بين يديه وهو
ينظر اليهم فاول من ضرب عنقه الامير
طوقتباي نايب القلعة ثم اقبض باي حاجب
الحجاب ثم تمر الزردكاش ثم اركماس امير
سلاح ثم الامير ازبك المكحل صاحب البيت
الذي ليسي بيت المكحل ثم الامير فارضوه
الفاجر ثم الامير مغلباي الزردكاش ثم
الامير قانسك راس نوبه ثم الامير ماماي
المحتسب وهو صاحب بيت قاضي العسكر
الان المقابل بالمدرسة الكاملية ثم يشبك
ملوخيه بشرجان بلاط الابح وكان ازاد
السلطان طومان باي نايب القلعة ثم خيربك
الخازندار ثم خايربك المعمار ثم بقية الامرا
الذي كانوا خافوا له بالامان حتى صار
الموضع كالمجزره ثم امر السلطان سليم بالتعدية

الي

الى بر العرب ليقاتل السلطان طومان باي
بنفسه فاما له وامة عليه فلما عدت المراكب
الى البر العربي فكانت كل معديه يكون فيها
نحو الالفين واكثر من الروم واما السلطان
طومان باي فانه كان واقفا بين وقت خلف
ربوة عاليه واقام واحد ينظر له الخبر فلما
اخبره بان الروم وصلت الى البر فقال في
نفسه احسن ما يكون ان اقطعهم اول باول
فعند ذلك زحف عليهم زحفة واحدة فما
شعروا الا وهو كابس عليهم واوقع فيهم القتل
فما وصلت المعديه الثانيه الا وقد افنى
غالب الاولى فارتج عسكر السلطان سليم
وتشتت امره فمنهم من قتل ومنهم من انقلبت
به المركب من فيها فحصل للسلطان سليم كرب
عظيم وندم على ذلك وقال لو اشار على احد

تفعل ذلك لقتلت اليتيم وقتله ولكن هذا بن بن
الامرا الذين قتلتم تغيرة نب بعد ذلك
امرا ان لا احد العربي وان يصفوا الى ربطانات
على شاطي النيل ويرموا على الذي في ذلك
البر من الجراكسه ورموا عليهم ادوت له الدنيا
ولكن لم يصيبهم منه شي لبعد البر العربي عن
البر الشرقي فهم في هذه الحاله وقد حصل
للسلطان طومان غاية الضر واذا الغبار
قد ثار من خلف ظهرهم وصيحان وعيطات
وخيل قد ملات الوادي توقفوا ينظرون
ما الخبر فلما قربوا منهم واذا بهم عرب غزاله
مقدمهم حماد ابن خبير واخوه سلام وكان سلام
هذا الارطاق فنادروا السلطان طومان
باي بالشتم والسب ولكف عن محاربة السلطان
سليم وقالوا ان لم ترجع عن محاربته ولا كنا
كلنا

64

كلنا عليك وناخذك موسطه ولكن
ارجع الى حيث شيت واخرج من ارض مصر
فانكم قد قتلتم خلقا كثيرا ايام دولتكم
وما منا احدا الا وله واحد قد قتلتموه اما
اخوه او ابوه او قريبه وقد ازال الله دولتكم
وجا بهذا الملك العادل فقال لهم السلطان
طومان باي ستنظرون اخو الكم لقد نسا
ولكن السلطان والشي راجعا بعدان خادعهم
بالكلام فلم يقبلوا منه قولا مطلقا فقال
لا حول ولا قوة الا بالله الله يا اغاوات
ان دولتنا قد زالت واحالنا قد مالت
وما بقي في هذه الديار نصيب ولكن لنا
اسوة بمن كان قبلنا وانظروا الى هذا الرجل
سليم وكلما قتلنا من عسكره واحد ونقول
قد ضعف امره فيرسل الله من ينصره فهو علينا

وما الامر الا من عند الله وقرا قوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده فما الراي عندكم قالوا
له الراي ما تراه وها نحن بين يديك كلما تفعله
نحن موافقونك عليه فقال لهم سيروا بنا الى جهة
الهرم فهم سايرون واذا بكردوس من الخيل
قد قدموا عليه فارسل ينظر من هولا فاذا به
قيتباي الرجبي الذي محبوسا بالاسكندريه وقد
كان حبسه السلطان الغوري فكتب على يده
مخلد فلما السلطان طومان باي وحصل له
ما حصل تذكر قيتباي الرجبي هذا وكان من
الفرسان المشهوره فقال حتى ما ارسل اطلق
قيتباي الرجبي واخلع عليه ليكون لنا عونا على
هذه الاعدا وكان مجيه في هذا الوقت فقبل
يد السلطان ولقيته الامرا والبسه خلفه السلطا
وسار

64

وسار معهم الى جهة اهرام الجيزه واخلوا له
ما وقع للغوري وما جرى له من اوله الى اخره
فقال لهم بالله المستعان وعليه التكلان ولا
تستعينوا الا بالله وكان من اهل الراي والدين
وكان قاريا كاتبا عارفا باداب الحرب ولهذا
حسبه السلطان خوفا من ان يدبر عليه ثم
قال الامير قيت الرجبي يا مولانا السلطان
خطر عندي ان نجعل هذه الوقعة نظما ونكتبها
على هذا الهرم ونكون لنا لها الذكر على ممر
الدهور والايام وكانوا بازا الاهرام فقام
السلطان والامرا الى الهرم الغربي فوقفوا
قال الناقل فاشار السلطان طومان باي
والامير قيت يسمع والامير شادبك يكتب
على الهرم هذه الابيات الذي من احسن المعلقات
تتضمن ما جرى لهم من اول الحروب الى اخرها وهي

وهذه الابيات الغلقة ابطمه

دموع العين فاضت من اماني وقلبي
ذاب من لنر احتراقي فلا نار طغاها دمع عيني
ولا دمعي يفيض من اختناقي
وبي اسف على اسى وحزن وهم
فوق هم واشتياقي على زمن تقضى في نعيم
بمصر والعلا والعز باقي وشمس العز في شرق المعالي
وبدر الصد درج المحاقي ولما ان اراد الله هدا
اتانا الروم من جهة العراقي وسلطان الجميع سليم شاه
عظيم الملتقى مر المذاق وكان الماجد الغوري بها
مليكا شبه بحر في اندفاق وقد قاد الجيوش لنحو حربا
وكان المرح وهذا للتلاقي وكان الحرب يوم الحد لكن
تولى جيشنا والحرب باقي وسلطان لنا اضحى قتيلا
طريحا والدما في انهراق وكان الخاين الكلب الغزالي
وخاير بك الموطن في النفاق بما اضل الهزيمة عن حقيق

الي

66

الى حلب كحل فى ساقي • وساروا الحذر مرجا • لمصر
بهم زاد الكرب مع ضيق الخناق • وعند حماه ضربنا المخاصر
رجع لعدونا يبغي شقاقي • وفي الشام الغزالي كاد
دابرك عاقه كل العواقي • وساروا بعدها سيرا حثيثا
لغزة ثم مصر في لحاقي • براي العقل علان المواقي
وسيرنا الى لقيه عظم جيش • عزته الاف فرسان سباقي
وقدمنا على الحل الغزالي • ولم نعلم بسوا الاختلاقي
واختار الهزيمة وهو منا له • سلاح الحرب خوفا من دهاء
وجاتنا رجال الروم مصرا • وقد جازوا البلاد مع الاقا
خرجنا بالجموع لنلتقيهم • وكان الزيوم الحرب واقي
دفي خط المدافع قام قوي • وزادوا في الخصام والخناق
وقد جانا علينا الروم زحفا • كبحر مالح في الاندفاقي
وزادوا الرمي بالبارود حتى • حسبنا الرعد محلول الطلاق
واطبق كل ناحية وفج • واشغل بالمنفقة الدفاقي
فتعلت للرسمه ترى الا عاقة • علينا كالسحاب على التراقي

فلما صمموا قالوا بسلطان العجم كذا
في مصر وقالوا العدو والى

وقلت الى الفتى علان حقا • فليس لنا من الاحسان واقي
فقال اليوم نصليها بطعن • بموت الناس والتذكار باقي
ومنا بالعدد ذلك وقوحملنا • كاسو لا تخان ولا تواقي
نتلنا من ملوكهم ثلايا • واسقيناهم كاس الدهاقي
دلمتا قدروا وادي العغل بني • اتونا كالجبال بالانطباقي
فاسقيناهم كاس المنايا • فخروا للثرى من كثر ساقي
وبودق العوارس في بجاني • بطعن في الصدور والاماقي
وعدنا عوده الاساده لنا • اتوا بالصيد من قبل الوطاقي
دفد مسنا العزالى قد تولى • واختار الهزيمه بالنفاقي
ومن علان حان زربطانه • وكانت بالمنيه والفراقي
فوا اسفا عليه وقد تولت • ودوّة عني وداع الافتراقي
بطل العين باكيه عليه • بدمع لا يمل كما السواقي
وجابي كربتيه كمثل هذا • وصار الفخر منه كالنطاق
لذلك جنبلاط غدا طريحا • ابو ابرسين في النيجا واقي
وامتا وارضوا امير قطيا • فلم يوقه يوم الحرب واقي

وكم

67

دكم رست قتل سليم شاه • بيا ر زني وخير الحرب باقي

وامسم لو اراه غداً قتيلا • بسيفي لو رفي سعاطباقي

ولما ان رايت الحرب وار • علا وقتل عني رفاقي

فولَّيت الجواد لنحو مصر • وحسيت الفنا والله باقي

وعند طرا اتاني الحبيش • جمعا وسرنا بالتلبس الترافي

وعدنا نحو مصر لاجل حرب • لكسبنا الرّدم والدّيجور باقي

قتلنا منهم جمعاً عزيزاً • بضربات المهندة الرقاقي

ثلاثة ايام كان القتل فيه • وفينا والعسا كر في تحاقي

وقومي قد ارادوا الغدر فيَّ • ويرموني اسيرا في وثاقي

وشادبك احمي عني بسيف • وكان بنفسه حر واقي

جزاه الله عني كل خير • وكان له رحيق المسك ساقي

وجضا ترقسترة ثم عزنا • وصرت احد من عظم اشتياقي

وجبنا قا غنا اسي قتيلا • وجوق الاق معه في دفاقي

فقلت لشادبك اذهب سليما • واحذر من طسعك الحماقي

فان عدانا جمعاً عزيزاً • كمثل البحر زايد في تراقي

فقال اليوم نصليها بطعن ۞ كمثل السم لا ينفعه راقي
وقاتلنا الجموع فقاتلونا ۞ ونحن على المضمرة العتاق
وبعد الظهر جاءتنا جيوش ۞ عديد الرمل جمعا في انطباق
وزلزلت البلاد لهم الى ان ۞ حسبت الحشر قام مع التلاقي
فقلت لو فقتي حلوا وقلوا ۞ وولينا جميعا بافتراق
وطمت لسهلها تحميها العالي ۞ جموع من سنانا في زعاق
وقاموا في صحيح مع لحيبا ۞ وجاءتني جويد نبو بطاق
وقالت لي تخلفنا على من ۞ ولبس نزالنا في الحي واقي
ولهوه من زياد وانت تبني ۞ طويل النار والمخلاف باقي
وفيك السابقات لكل خير ۞ وفيك اللاحقات مع البواق
فخلصنا من الاروام يا ذا ۞ وانا في مضيق وانغلاق
فقلت لها وردت البيت اني ۞ صبوح الضرب بالسمر الرقاق
احب الي من شرب الملاهي ۞ على كأس وابريق وساق
وسوق ومما الغوارس كل يوم ۞ مدامي واصطباحي واغتباق
واني وان ذهبا الى اعتداد ۞ لغد قلت جموعي مع رفاق

وعنتر

دعنتر غاب عن عبلا سنينا • بعيد الاس في ارض العراقِ
ونام الزير دهرًا عن كليب • وبعد سبى حالما بلاقى
وان النيل يعلوا بعد نقصٍ • الى ان يستكي نقض العراقِ
وان البدر يكمل بعد نقص • ويرق الادح من بعد المحاق
وان الليث يهرب من لهيب • ويرجع رجعة كالسم باقي
واني سوف اُسطى ثم اتى • ارجعه عمر في يوم السباق
فعادت وهي نادبة بقهر • تضج ضجيج من الم الفراق
وقالت يا طهمناي المقدا • فراقك عند نامر المذاق
فسافر في امان الله انى • ودعتك للذي رفع الطباق
فردت الجواد ودمع عيني • كسيل سال من بحر الاماق
وسافرت الصعيد وجبت وحدي • كما قالوا او اوفوق واق
وجاسم قد اتى وبدا بحرب • وولى هاربا دون الرفاق
وصرت لنحو مصر في جيوش • وما دمع الخيولة والنياق
ورزمل قد لقاني في طريق • فنالك ما حد طلوطلاق
وصبحنا جيوش الروم صبحًا • على الجرد المضمرة العتاق

وزدن القتل حتى كل شي ۞ واشغل بنل مصر بافتراقي
وقد رمنا نغزي البحر لكن ۞ عزاله قد ابونا في استباقي
وراموا حربنا وبغوا علينا ۞ فان البغي شوم الاختلاقي
وعدنا في قتال الروم فيصلا ۞ لعتينا تيتسيد من بلاقي
وعلقنا على الاهرام شعرا ۞ كنظم الدر في حسن التساقي

قال الراوي فاقتضى راي السلطان طومان
باي ومن معه من الاميرا ان يرحلوا الى دهشور
وينادوا في البلاد ان الخراج بطال ثلاث
سنوات وان من اراد القتال ونصرة السلطان
طومان فاسرع الينا وله ما لنا وعليه
ما علينا فلما كان كذلك اجتمع لهم عالم عظيم
من عرب وفلاحين وغيرهم واقتضى رايهم
ان الامير شاذبك يكون باشا على عزة الاف
فارس وراكب وماشي وليذهب الى قتال
سليم في اي محل صدفه فيه وان السلطان
طومان

69

طمعًا ان باي يستمر في دهشور حتى يادته الخبر
من عند شاذبك هذا ما كان من هولا واما
ما كان من السلطان سليم فانه ضاق صدره
وندم على دخوله مصر وخشي ان يطول عليه
المطال ويدخل عليه الشتا وينقطع عنه خبر
بلاده من امر النصارى لئلا يدبروا امرًا
في غيبته على اخذ القسطنطينيه فاشتغل
فكره ودخل عليه الشيطان فنوي ان يبطش
بخير بك فانه هو الذي احسن له التوجه
الى اخذ مصر وخصوصًا لما اوعده
السلطان بان يجعله باشا على مصر
الى ان يموت فهو في هذا التفكر وهو متحير
في ذاته وقد دخل اليه الوزرا واخبروه
ان بلاد الاطفيحيه خرجت عن طاعة السلطان
سليم وقامتا العربان كلها على ساق النصرة

السلطان طومان باي فازداد السلطان
غما على غمه فاقتضى الراي ان يرسلوا الخبر لده
يمهد العربان وتامرهم بطاعة السلطان سليم
وانه ما قصده الا عمارة البلاد وانه ما يحصل
منه اذيه لاحد من العرب ولا من اهل البلاد
وان كل من خالف وعاند ما له جواب الا السيف
فقال من يكون سردار على التجريده قالوا كل من
اختاره السلطان فقال يكون قنبردي الغزالي
لانه اعرف بامر هذه البلاد وبقتال العربان
فلما حضر امره السلطان بذلك فاجاب
بالسمع والطاعة وقال امر العربان هذا
اسهل ما يكون ولا يهتم مولانا السلطان
لشي من ذلك قال الناقل وهو الشيخ احمد
ابن زنبل الرمال المحلي ان السبب في وصول
الغزالي الى طاعة السلطان سليم وهو انه لما

عاكس

65

لما غاكس السلطان طومان باي في امر المدافع
وغطاهم بالرمل عنادًا ومكرًا منه ومن بعض
الامرا فلما ان حصل ما حصل من الهزيمة في
وقعة الريدانية وانهزم مع جملة من الحضر
حسدًا منه للسلطان طومان باي وكان قصده
ان يتسلطن فلما اقتضى راي الامير علان والا ميـ
ـر شادبك الاعور والامير كرتبيه الوالي والامير
قانصوه العادلي والامير ازك راس الحلبان
وبقية الامرا الاعيان ان يسلطنوا طومان باي
لما يعلموا من فروسيته وشجاعته وديانته وتقوا صغره
وزهده في الدنيا وعدم التكبر والتجبر وليس
يستحق السلطنة الا هو فلما كان كذلك غلب
على قانصوه الغزالي الحسد والبغض لانه حسد
حيث انهم لم يوهلوه للسلطنة وقدموا عليه
طومان باي وهو احق منه وكان لها واهلها

فاخذ بعا كسهم في كل امر دبروه ويخطي رايهم
فيما يفعلوه فعلم السلطان طومان باي والامير
علان انه ملاخ عليهم فاراد الامير علان ان
يبطش بقنبردي الغزالي فقال له السلطان
لا تفعل ذلك فقال له اما تنظر الى معاكسه
لنا وعناده قال اخشى انك ان قتلته ربما
تقع الفتنة في عسكرنا وتنخرم نظامنا ولكن
اصبر وتأنى وما يكون الا ما يريد الله سبحانه
وتعالى ولا يغلب الله غالب والله ان ليس
لنا رغبة في قتل احد وانما هولاء القوم بغوا
علينا ويريدون يأخذون بلادنا واموالنا
ويهتكوا حريمنا فواجب علينا ان نُدافع عن
انفسنا وعن اولادنا وحريمنا والباغي له مصرع
ودع كل من قدر على شئ يفعله والله يفعل ما
يشا فقال الامير علان والامير شادبك والله ما دام
هذا

61

ينتظام

هذا الخبيث الولد الزنا بيننا لا ينتظام لنا نظام

ابداً الا ان اهلكه الله فقال السلطان طوما نباي

والله ثم والله ليس لي رغبة في الملك وانما انا احدهم

واحد منكم ولولا انكم الزمتموني بذلك ما طاوعتكم

في شي من ذلك ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولا

ونرجع الى سياقة الحديث فلما انهزم قنبردي

الغزالي تبعه اثني عشر اميراً وصادق منهم الامير

سودون الدواداري زربطانة اخذت فخذه

فصار معهم الى قليوب وهو بلا مخ فقضى دمه

فمات هناك ودفن بها [illegible] ذلك ابنه علي

باي وطلعه من قبره وحمله الى مصر ودفنه

في تربته ولما الامير قنبردي الغزالي الخاين

على طريقه ومعه الاحد عشر اميراً وكان

من جملتهم ازدمك الناشف الى ان وصلوا

الى الامير احمد ابن بقر فخرج الى لقاءهم ورحب

بهم واتام لخدمتهم وما زالوا عنده والاخبار
ترد عليهم وشاع ذكر السلطان طومان باي
بالشجاعه وما ظهر منه من الفروسيه وما
فعله في عسكر السلطان سليم وما قتل منهم
وكذلك الامير شادبك والامير قانصوه العادلي
وغيره من الاعيان الذين تبعوا السلطان طومان
باي فحصل عندهم الغيره من ذلك فان الجراكسه
كانوا قوم نفوسهم شامخة واعطاهم الله تعالي
الشجاعه والفروسيه وكانت هي فخرهم
فكان كل منهم يحدث نفسه ان يكون سلطان
ولهذا اخذوا دابرهم فان اخذ الملك ليس
هو بالقوه وانما هذا امر الهي يعطيه الله لمن يشا
من عبيده فلما ترادفت الاخبار بما فعله طومان
باي فصاروا يتعجبون من ذلك فان طومان
باي ما كان مشهورا عندهم الا بالدين والصلاح

والولايه

72

والولايه وكان الذي ينظره لهذه الكيفيه
والوقار لايشك في صلاحه وكان محبوب الصوره
عند كل احد قال فلما ظهرت منه هذه الشجاعه
والفروسيه صاروا يتعجبون فقال لهم الامير
رزمك الناشف اما سمعتم قول القايل الشجاعه
صبر ساعه فقالوا يا امير صدقت ولكن
من يصبر علي ملاقات هذه النيران من هذه
الزربطانات والبندقيات لو كانوا امثلنا
يقاتلون علي ظهر الخيل كان الواحد منا
يقاتل مأيه منهم ومأيتين لانهم ليس عندهم
معرفه بركوب الخيل ولا الجولان في الميدان
فقال لهم الامير رزمك الناشف آخي ما له
قاتل وقال في نفسه ما عمره يقاتل في هذا المحل
وسلطاننا يقاتل بنفسه والله ليس هذا
من المروه ونوي علي الذهاب الي السلطان

طومان باي وبات وما اصبح تفتش عليه
فتبروي الغزالي فعلم انه سار الي طومان باي
فخشي انه ان قام يوم اخر رجعت بقية الامرا
الي طومان باي واخبروه بمحل الغزالي الذي
هو فيه فقال في نفسه وتكلم مع الامرا الذين
معه وقال لهم يا اغاوات اعلموا ان دولتنا
قد ولت وما بقيت البلاد الا لهذا الملك والاولي
والاحسن ان نذهب اليه فنأخذ لنا
منه امانا فاذا صرنا في امانه امنا على انفسنا
واموالنا وحريمنا وايضا ليس هو مقيم في
هذا الاقاليم فانه حيث يتمكن من اخذ البلاد
ويقتل طومان باي اقام خايربك نايبا عنه
وذهب هو الي بلاده فاذا صارت بقية البلاد
في ايدينا نتصرف فيها كيف شينا قالوا له
ومن اين لنا انه يعطينا الامان قال لهم انا
اضمن

٧٣

اضمن لكم ذلك فان بيني وبين خاير بك اتفاقًا
باطنا لا يعلم به احدا الا انا وهو قال فعند ذلك
اطاعوه وذهبوا معه الى ان وصلوا الى ليمان
الريس وارسل اعلم خير بك بقدومه ففرح
خيرباك بذلك فرحًا عظيمًا وذهب الى حضره
السلطان سليم واخبره بذلك ففرح السلطان
ايضا بذلك فرحًا عظيمًا وارسل له خير بك
والوزرا واعيان دولته فتلقوه ودخل من
باب القنطره في موكب عظيم وهو لابس خلعه
عظيمه من اعظم الخلع وقابل السلطان ورحب
به وامنه وامن جميع الامرا الذين كانوا معه
وصار معزوزا مكرومًا عند السلطان سليم
وعند عسكره ونرجع الى سياقة الحديث
فلما اخبروا السلطان سليم ان العربان قامت
على ساق وعصت وخرجت عن الطاعه

وافتضى راي السلطان في ارسال الحرايه وارسل العقرالي باشا عليها وكان معه خمسمايه نفر من الجراكسه وخمسمايه رامي بالبندق من الاكثاريه الي بر الاطفيحيه فلما وصل الي اطفيح وراي البلاد كلها قايمه علي ساق والعربان يجمعه فلما راوه قصدوه وبادروه بالسب والشتم ثم وقع الحرب فكانت الكسره علي العرب فانه بادرهم برمي البندق فلم يثبتوا لذلك فولوا هاربين فقتلهم ومزقهم وشتتهم وامر بنهب نجوعهم وسعيهم وحريمهم واولادهم وارسل جميع ذلك الي السلطان فامر ببيعهم في الرميله فابيعت النسا والاولاد الاحرار كما تباع الرقيق ولكن بابخس ثمن وضاقت الناس من في قلبه رحمه يشترولهم ويعتقولهم في الوقت ووقع علي العقر الي دعا العطب ما لا يحصي حتي دعت عليه اليهود والنصا

ري

٧٨

والسضاري فلما سمعت العربان بذلك عصت
جميع الاقاليم وكذلك العشير من الخوف وكان
سيدي يحيي ابن الامير بن بك صاحب بركة النزبكيه
لما كان وقعة الزيديّة اتبنيّة وانهزم من الجراكسه
ثم علي ظهر الي بلاد بني حرام وكان بينه وبينهم
مصاهره وهو مقيم عندهم والاخبار ترد عليه
وقلبه مع السلطان طومان باي وولكن لا وصول
له اليه فلما كان بذلك وعصت جميع البلاد
نزاي له طريق الى الخروج وصار هو وبني حرام
يخرجون ويدورون في البلاد والطرقات
فلما وصلوا الي باب النصر وباب الشعريه
وكل من وجدوه روميًّا قتلوه فقتل من الاروام
شي كثير وخصوصًا من عجم اعلان فانهم كانوا
يدورون ينهبون كل ما يجدوه من اكل وغيره
وكانت الزعر والفلاحين يتبعونهم حتي يجدون لهم

نرصته في قتالهم فيقتلونهم عن اخرهم حتي رخص
القتل في ذلك الزمن وكان سيدي يحيي ابن الامير
يزبك شجاعا عظيما وكان من الفرسان المخبوره
حتي اجتمعت الناس انه كان فريد عصره
في كل فن من فنون الحرب وكان فيه محاسن
ما تفوق الوصف فلما سمع بان السلطان طومان
باي قابل السلطان سليم علي المناداة ورحل
عنها الي دهشور وانه جعل الامير شادبك
الدوادار الكبير مقام نفسه في جميع اموره
واشرط علي نفسه انه ان ايده الله بنصره
جعله ولي السلطنه من بعده لاجل ما اظهر
من الشجاعه والقوه في حرب الروم
قام سيدي يحيي ابن الامير يزبك وعزم علي التوجه
الي السلطان طومان باي وعدي من بر الشرق
الي بر الغرب وتم ساير وكل من لاقاه من العربان
يترحبون

75

يترحبون به ويعزمون عليه فانه كان محبورا
عندهم بالعزوسيه فلا زال حتى وصل الى دهنور
واجتمع بالسلطان طومان باي ففرح به
السلطان وساله عن حاله فاخبره بما فعله
هو وبني حرام من قتل الاروام فشكره السلطان
على ذلك وامران يكون مع الامير شاد بك
من اصحاب المراتب ففرح بذلك قال الناقل
هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر
السلطان سليم فانه لما نظر الى الامور المفزعه
والاحوال المطربه خاف على نفسه وضاق من اجل
ذلك صدره وتحير في امره وقال لارباب دولته
ماذا تقولون في هذه الطايفة العلبه التي
كلما اقول ان امورهم هانت نما الاشر هم
الامي كل يوم يزيد وقد حصل لنا منهم غاية
التنكيد فان والله كان الصواب في رجوعنا

ولكن دقضي الله علينا بهذه الاحكام وقال

يوسف باشا ان كان رجوعنا من الشام هو

الصواب الان خايربك لتاادعدته بان

يكون ملك مصر ما دام في قيد الحياه وصار

يدبر الي تحصيل مراده ولا تدرنه له علي ذلك

فهو يحسن لك العباره ويسهل لك الامور ويظهر

لك انه ما قصده الا ان تكون البلاد بلادك

والحال انه في باطن الامر انما يستعين بك

علي بلوغ مراده وهو هلاك ابنا جنسه واستقلاله

هو بالبلاد والملك ونرجع انت ونحن معك

ان سلمنا ويستقل هو بالبلاد لنفسه اما له

بانك لا تاخذ منه مال ابدا فهو يجتهد في ذلك

غاية الاجتها دليحصل عند السلطان تغير عظيم

علي خايربك حتي اتفقوا اجمعين انه لا يبقي عليه

ابدا وكان يونس الذي هو الوزير الاعظم يكره

خايربك

76

خايربك في الباطن لما راى منه من قلة الخير
في حق ابناء جنسه وكان ايونس باشا من
الاخلاق الحميده والاوصاف الجميله ما يفوق
على الوصف ولكن الجيد ما له بخت وكان يعرف
ان خايربك ما قصده الا بلوغ مراده ولكنه
دخل على عقل السلطان سليم فصار يصغي
لقوله فقال السلطان سليم متحيرا في نفسه انه
ان قتل خايربك وهو يكون في اقليم مصر وقامت
جميع البلاد عليه من الشرق والغرب فلا يامن
على نفسه فما ساعه الا الصبر واخذ في امر
التدبير كيف يفعل فقال السلطان سليم
لارباب دولته هذا نحن قد اخذنا ارض القوم
وسبينا حريمهم وقتلنا اولادهم واكابرهم
فماذا نريد بعد هذا وكفى ما قد جرى وصار
الاحسن فيما اري ان نجعل بيننا وبينهم صلحا

ونترك لهم بلادهم ونرحل عنها ونخليها لهم
فانهم في الحقيقة الا ان عندهم باش وعزدرنه
ولله عاقبة الامور فقال الحاضرون نعم الراي
ما راه مولانا السلطان فقال يونس باشا
ان هذا كان رايي وفي خاطري ان نرجع من الشام
الى اوطاننا وبلادنا ولكن اذا اراد الله بامر
لا راد له فقال هذا الرجل طومان باي
وشادبك وقلج كلما ارسلنا لهم رسولا قتلوه
ونخاف ان نرسل لهم اخر فيقتلوه كما قتلوا غيره
فقال الامير اخور كبير وهو احمد باشا الذي
كان تسلطن بمصر في ايام السلطان سليمان
رحمه الله قال يا مولانا السلطان الراي عندي
ان نرسل لهم قاصدا من جنسهم جركسيا ان كان
ولا بد فانت فاعل ذلك فان قتلوه فخوفهم
وان انفوه رجع لنا بخبرهم وننظر ما نفعل

فقال

77

فقال له السلطان سليم نعم الراي ما رايت
ونعم القول ما قلت فاقتضي رايهم ان يرسلوا خوش
قدم الذي تقدم ذكره وكان اصله مشد الاتون
ايام الملك الغوري وهو الذي جا الي السلطان
سليم مع جانم بان السلطان طومان باي يريد
ان يهجم عليك فاستيقظ لنفسك فاخذ له من
السلطان سليم امانا وصار من حزبه وبارز
بالعداوة لابنا جنسه فامر السلطان باحضاره
فلما حضر قال له السلطان اني اريد ان ارسلك
بهذه المكاتبات الي طومان لعلهم ان يقع
بيننا وبينهم صلحا فقال له حبا وكرامة ولكن
ان لم يوافقوني والا كنت لهم اول من يقاتلهم
قال ثم خرج من عند السلطان وطلبه يونس
واوصاه بان لا يغلظ عليهم في الكلام فان
الكلام اللين تقبله النفوس فلما وصل خوشقدم

تم كلامهم بالدهم

الى قرب دهشور رفزي حبيشا عظيما دخيلا بكثرة
فلما وصل اليها فاذا ابه الامير شاد بك ومعه
هذه العساكر وهو قاصد الي قتال السلطان
سليم فلما اجتمع به ووقعت العين في العين
فقال خوش قدم يا معاشر الامرا والسادات
انى اريد الامير شاد بك واتكلم انا واياه
فما يكون فيه الصلاح لنا ولكم فتقدم
الامير شاد بك وعن يمينه الامير ابرك راس
الكلبان وعن يساره قانصوه العادلي والامير
قايح وحركوا عن خيلهم وترجحوا عن ظهورهم وصا
روا بينهم قدر رمحين وكان البادي بالسلام
الامير شاد بك فرد عليه خوش قدم السلام
فقال له الامير شاد بك ما معك ايها الامير
ومن اين جيت فقال جيت في الصلح بينكم
وبين هذا الملك سليم الذي هو اعظم ملوك
الارض

78

الارض ولديس الراي لكم ان تعادوه والراي
عندي ان تدخلوا تحت طاعته احسن من ان
تصيروا في قبضته وتذوقوا بين يديه العذاب
وتقطع منكم الرقاب فقال له الامير شاذبك
انا انت امرك عجيب فقال له لما قال لانك
كنت تقول قبل مجي هذا الملك الذي تزعم انه
اعظم ملوك الدنيا ان جاوا الروم الى ارضنا
اول من يقاتلهم انا واكون قدام الابطال حتى
فلما ذهبنا الى الشرق اطفيح ورجعنا الى حرب
عدونا وضربنا رايا ان نكبس عليهم لئلا
هربت انت منا ورحت الى عند عدونا
الذي كنت اول من يقاتل انا واخبرته
بما دبرناه واطلعته على ما اضمرناه فلا ادري
انغلت ذلك من صي في قلبك او خلل في
عقلك ثم العجب انك جيتنا اليوم تزعم انك تريد

الصلح فلا ندري اخصم انت ام حكم فقال له
خوش قدم صحيح اني فعلت ذلك وما فعلته
جبنا من الحرب ولا خوفا من الطعن والضرب
وانما فعلت ذلك لما ان رايتك صرت دوادار
كبير وتقليت علينا هذا العلو الزايد كرهنا
ان نكون تحت امرك وان ننقاد لقولك وفعلك
فقال له الامير شاذبك من حسن عقله وحلاوة
لسانه وطول روحه وادبه في جوابه والله
يا امير خوش قدم لو نلت انت هذه الوظيفه
التي حسدتني عليها لكنت انا اول من تحزمك
منها ويقوم بحوايجك فقال له خوش قدم
وقد خجل منه واستحى والله اننا كنا حسدناك
ولكن لما سمعنا عنك ما لم نصدقه من الفروسيه عليها
والشجاعه ورأينا ذلك عيانا قلنا والله
انه احق بها واهلها ولولا ان السلطان طومان
باي

79

باي راه يستحق ذلك ما اعطاه لكن هذا قلج
من ابي حتي ان يكون في مرتبة لرتبيه الوالي
فلما سمع الامير قلج هذا الكلام فما ساعه عقله
ان يسكت عن الجواب فقال له وانت لو علم الله
منك خيرًا اعطاك الله اعلامنا ولكن الله
تعالي علم انك رجل خاين خارج عن حدك
مارق عن ابنا جنسك فلما سمع خوش قدم
هذا الكلام الخرق بجازه وكان عنده كليشان
عقل فما سمع منه هذا الكلام الا وخرج منه
ولت فنظا رتيه فطعن الامير قلج طعنه بقوه
عزمه يريد بها هلاكه فاخلي عنها بمعرفته
فراحت في البطال ومن شدة الطعنة اكاد
ان يسقط خوش قدم عن جواده فلما عاين
ذلك الامير شاذ بك خرج منه الحد وكان
في يده طير جناح علي ظهره مكتوب دليل النهب

الارواح فضرب به خوش قدم على قنطاريته

اراها كما يبري القلم فلما سقطت قنطاريته

من يده جذب سيفه وقصد الامير شاد بك

فضربه ثانيه بالطير على خوذته قطعها وجرح

راسه جرحا خفيفا لكنه ارماه فلما نظر الدم

على وجهه ولى هاربا فلما راوه اتباعه قد

ولى هاربا ودمه يقطر من لحيته فتبعوه وولوا

مهزومين فتبعهم الامير شاد بك قدر ميل

ورجع عنهم فما سلم منهم الا القليل فلما وصلوا

الى وطاق السلطان سليم اغتاظ غيظا عظيما

وكاد لا يدري ما يفعل ثم انه عزم على الرحيل

الى بلاده وترك هذه البلاد واتركها لاهلها

وقال في نفسه ان هذا الامر لا طايل فيه

ثم امر باحضار خاير بك فقال له اني ارشد

الرجوع عن هذه البلاد واتركها لاهلها

وثما

80

وما عسى ان افعل فاني كلما اقول ان الامر
تدهان فما انظره الا بزداد شده فلما سمع
خاير بك ذلك شق عليه هذا الامر وقال يا مولانا
السلطان ان فعلت ذلك سقط من اعين جميع
الملوك ولا ابتغام لدولتك راس ولكن الصبر
عقباه الفرج ومن تانى نال ما يتمنى فعند ذلك
امر باحضار خوشن كان مع خوشن قدم من
الاروام وقال لا تاتونى بجرلسي ابدا او تورونى
لاحد امنهم وجها فلما وقف كبيرهم بين يدى
السلطان فقال له اما اجتمعتم بطومان باي
فقال لا والله ما اجتمعنا به وانما وحدثنا
شاذ بك وهو سابر الى جهتنا وهو قاصدا الينا
فقال السلطان فى اكم فارس يكون قالوا معه
العين فارس من كل مدرع ولابس وفى الحديد
غاطس وهو اماشم يقول فى نفسه انه يقدر

يفتح لهم الارض شرقا وغربا فقال له السلطان
انت نظرت شادبك الاعور قال نعم وقربت منه
حتي نظرت في وجهه فقال السلطان صف لي
صفته فانعم وصفه عندي مرارا عديده فقال
ليس هو طويل ولا قصير وانما هو شرطة الناس
وليس هو سمين ولا رقيق الا ان قراعيه كقوايم
البعير اعرض ما فيه صدره والتاقه وذر عنه
حنطي اللون عربي الوجه وليس هو اعور كاسمه
الاعور ولا به حول وانما اذا مال بعينيه
علي جانب يكون احداهن بياضها ازيد من
سوادها فلما سمع منه السلطان هذا الكلام
ثم قال صدقت وقد طال الكلام بينهم حتي
حتي تمكنت انت من النظر اليه قال نعم حتي اني
سالت من جماعة خوش قدم فقالوا انتا رابناه
باعيننا وهو عليا العجل الجاموس من قدونه

موجيد به

81

ويجذبه بلسيفه من مكانه ويلوي قرنه بيديه
فيقلبه على جنبيه والناس تنظر اليه فقال
له صدقت اني سمعت عنه هذا الكلام ولكن
اذا نزل القضا عمي البصر فلا تفيد الشجاعه
سوف اني ساقبض عليه واقطع راسه وانت
تنظر اليه فان دولتهم قد انعكس ظالعها
ثم ان السلطان سليم التفت الى الحرب
وامر ان تمسك جميع المراكب ويجعلوها صفا
واحدا من بين مصر الى بين الجيزه وان تربط
في بعضها باحكام واتقان وامر ان تعدي
عليها العساكر ففعلوا كما امر واخذ معه عشره
الاف فارس ومثلهم مشاه نقاه النقاوه
من شجعان عسكره غير اتباعهم وطلب وقال
الامير شادبك وترك في مصر يونس باشا
وبقية العسكر داوضاهم بحفظ البلد واخذ

معه خاير بك نايب حلب واوصى الوزير يونس

باشا انه اذا جا الغزالي يرسل اليه فامر الوزير

من وقته وساعته بكتابة مرسوم الى قنبردي

الغزالي يامره ان يعدي من الشرق الى بر الصعيد

يريد قتال السلطان طومان باي ويذكر له

ان السلطان سليم عدي الي بر الصعيد يريد

قتال السلطان طومان باي وهو مجو له في الطلب

وانت اذا وصلت اليك هذه المكاتبه تكون

على اهبه حتى تجتمع بالسلطان وتكون انت

واياه على طومان باي؛ قال الراوي فلما عدى

السلطان سليم الى بر الجيزه ومعه سيدي محمد

ابن المرحوم الغوري وكان سيدي محمد قابل

السلطان سليم في اول دخوله مصر على يد

اخي جلبي وقاضي العسكر الحفير بحكم د عهد

كتبه له السلطان سليم وحلف له انه لا يضره

بوجه

82

بوجه من الوجوه فلما قابل اكرمه السلطان ابدا
سليم غاية الاكرام واخلع عليه خلعة تليق
بالملوك وزاد في اكرامه حتى اطمان اليه وصار
ياخذه معه في كل محل ذهب اليه فلما عدى
السلطان الى بر الجيزه كما تقدم وصار يسير
على التراحه لاجل ما معهم من الزردخانات
والمدافع والاحجار والانقال وغيرها
قال الناقل لهذا التاريخ هذا ما كان
من امر السلطان سليم وسيره بالعسكر واما
ما كان من بقية زمانه وفريد عصره واوانه
الامير شاذبك فانه سار بمن معه حتى وصل
الى اقاليم جيزه وعن عينه الامير قانصوه العادلي
وسيدي يحيي ابن الامير يزبك والامير دولت
باي كاشف الجيزه والامير بردبك وعن يسار
ابوك راس الحلبان والامير تمر نايب الاسكندرية

والامير دولت باي كاشف الصعيد والامير قج
صدق الامير شاذ بك واسه وهم سايرين فقال
الامير شاد بك يا اخواني اظن الله في هذا اليوم
تقع لنا مضايقه من قبل عدونا فان قلبي جربته
يا خذني شي الا وقد صادفته الصحه وقالت
العارفين من ثبت نبت والشجاعه صبر ساعه
فهم في هذا الكلام الا وقد ظهر لهم على بعد جيش عظيم
وصناجق واعلام فقال لهم رايتم ما قلت لكم
ولكن تاهبوا ووقفوا مكانهم واما السلطان
سليم فانه لما عاينهم عرفهم فانه قد جاه بدوي
من عرب الغنيوم واخبره بان شاذ بك قادم عليك
ومعه الفين من خيار عسكر طومان باي كل واحد
منهم يقول في نفسه انه يلقاك بمفرده فتاهب
فعند ذلك امر السلطان سليم للرماه ان يبدو
بالرمي لعل ان يكون فيه هلاكهم ونستريح من
شرهم

83

من شرهم فلما تقارب الجمعان حمل الامير شادبك
عليهم حملة واحدة وقد كسر عليهم فلما عاينوا
منه ذلك رموا عليه طلق من البندق والمدافع
والكيفيات والشعبيات حتى ادوت الدنيا
ولا بقى احد ينظر الى احد فهلك من هلك وهرب
من هرب وثبت من ثبته الله ولكن الامرا الذين
تقدم ذكرهم لم تهلك منهم احد ثم توكلوا
على مولاهم وابلجوا امرهم اليه وحطوا ايديهم
في الروم وقاتلوا قتال من ايس من الحياة
فقاتل الامير قتال الجبابره فما مضى من النهار
نصفه الا وقد تقهقرت الروم الى وراء من
الامير شادبك بل ما لا يروه من احد وقالوا
ان هذا الاطاق ولا قدره لاحد على لقاه
ومن له قدره على حربه اي هذا الاسد وانه
ان مثل هذا الاسد لا يجوز قتله فعند ذلك

امر السلطان سليم عسكره ان يتفرقوا عليه من كل
جانب وصار كل من قرب منه هلك لوقته ولم
يقدر احد منهم ان يضربه ضربة لا بسيف ولا بعود
فقتل منهم كذا كذا الف في يوم واحد وصار يصيح
عليهم ويقول لهم فلوا عن الحرب يا علوج الروم
وارجعوا ما لمعالق الي شوربتكم ثم كلمهم بكلام
فاحش ذكره الحاج فارس وهو غلامه الذي
كان ورا ظهره بالجنيب قال وقد استقتل الامير
شاذبك وما بقيت الروم بين يديه الا كالغنم
سوقهم حيث يشا فعجزوا منه بجملتهم وايسوا
منه ولم يبقى منهم احد يقدر يقربه فان كل
من قاربه هلك وهو ينادي ويقول اين
انت يا سليم يا من يريد ان يكون سيد الملوك
والسلاطين اختصار ابرز الي الميدان يا جبان
يا من يقاتل المسلمين بالنيران قال ثم التفت

84

على سياره فوجد كردوس من الروم نحو الالفين
قد احاطوا بالامير دولت باي كاشف الجيزه
وهو بينهم كالاسد فمال عليهم ميله منكره
ولوا من بين يديه هاربين وضار يتبعهم
وهو يقول لهم في الوف ونحن مئتين ما لكم والحرب والجلاد
والقتال قال الراوي من اهل الراي والمعرفه
قالوا جميعهم والله لو ان السلطان قانصوه
الغوري لما سار الى مرج دابق ومعه تلك
العساكر والجنود والامرا مثل الامير سودون
على الاختصار المذكورون وتلك العساكر
لما امتدت في ارض سيلان وهم نازلون
الى قتال السلطان سليم وكانت عساكرهم
من صلحوليه الى الجون ولا احدا قادرا على هذا
العسكر ولا يقول انه ينكسر ابدا فلما توافقوا
مع السلطان سليم انكسروا مقهورا فلو انا سامنهم

سليم شاه مثل ما قاسا مع الامير شاه ذبك بهذه
الطايفة القليلة ما كان عدي من حلب وكان
رجع الى ارضه وبلاده قال الناقل لهذا التاريخ
وما زال الامير شاه ذبك يبري الروس الى
ان انقطعت حدة الروم وقتل اكثرها فكان
الامير شاه ذبك كلما سمع الجاوشيه يحرضوا
العسكر يميل عليهم حتى قطعهم وقتل قتالا لا
يدخل الحصر حتى صارت الرجال مطرحه ثم
انهم ولوا هاربين واخلى من عسكرهم جانبا
كبيرا واتا باقي الامرا من الجراكسه فان
كل امير منهم كسر الذي بين يديه لانهم في طول
عمرهم ما قاسوا مثل هذا اليوم وكان السلطان
سليم يتاوه ويتحسر ويقلق ويضجر ويقول لما كنت
اتوكل الان اتاني من احدكما فاستني بوى هذا
ولا كنتا الى بهذه العشرة الالاف فارس وراجل
التي

85

التي هي حنا رقومي ويتبعها اكثر من عشرين

الاف ويلقاني هذا الاعور في اقل من خمسمائة

من عسكري فقال له خايريك ذالله يا مولانا

السلطان وكذلك ما كنت ان شاذبك بهذه

الصفة ولكننا نعتبره بين الفرسان ولكن

ابرز للعسكر انت بنفسك وازجرهم وامرهم بالحمله

فعند ذلك خرج السلطان على عسكره وصاح في

وجوه اكابرهم الحرب اين تذهبون والى اي

ارض تهربون ثم انه صار يعدهم بالترقي

والعطا الجزيل ويقول لهم انظروا الى هذا

الاعور وهذه الخمسمائة فارس انزلوا عليهم

بجملكم فلما تكلم السلطان بهذه الكلمات المحضر

مع اكابر دولته تخزوا من بين يديه وهم لا يدرون

ما يصنعون وصاحوا على الطرايف المجتمعه

وكانت الجراكسه ايقنوا بالظفر وصاروا في ذلك

الاحمر وما بقي مع الامير شاذ بك من الغنز الا
خمسمايه فارس واما البقيه فمنهم من قتل
ومنهم من هرب واما الذين قتلوا لم يقتلوا
الا بالبندق ولما كانوا الغز سوا الردم ووقفوا
حول الامير شاذ بك وهو بينهم كالاسد وكل
منهم يدعوا له ومنهم من يقبل يدو او رجله
في الركاب لما راوا منه هذه الشجاعه التي
لا تسمع بها الا عن عنتر ابن شداد وصار
يسال عن واحد بعد واحد فما وجد احد
منهم قتل واما الذين هربوا كلهم مما ليك
واتباع واما الروس والاعيان مثل الامرا
فانضموا المذكورين على الاختصار فقال
لهم الشجاعه صبر ساعه انظروا لما صبرتم
كيف نصرتم على عدوكم ونشرتم انفسكم حتى يتم
الامر لكم ومن يتعب منكم يقف في مكانه ولا

يولي

86

يولي الادبار فيكر اصحابه ويسمع العدو فينا
دكلما كنتم حزمته فاحزه كنتم الغالبين فقالوا
يا امير ليس هنا احد لهرب من طعن ولا ضرب
ولسوا بافرس منا وانما اضر علينا هذه النيران
والرصاص والزربطانات التي لو رموها
على الجبال لزالوها قال لهم شي من هذا طلقا
فالحي ماله قاتل والانسان اذا فرغ اجله
مات وقال الله تعالى لكل اجل كتاب ثم انهم
ظنوا ان الروم بطلت همتهم عن الحرب واذا
بهم قد اقبلوا عليهم زحفا مثل قطع الغمام
فصاح عليهم الامير شاذ بك الجملة ثم انه
نطح الجيش بصدره كانه الليث الضرغام
ورموا اول طلق والثاني والثالث بالبندق
والزربطانات حتى صار البندق والزربطانات
كالمطر ولو ان الحجر الكسه قد انحمى في الروم سحابا

زايدًا حتى صاروا كالواحد فلم يصب احد من الروم
شيا الا البعض وصار بينهم حملات وصار لهم
رقعا بالسيوف وكان لهم شهودًا لم ير مثله في
هذا الزمان وكان الامير شاه بك قاتل في
ذلك اليوم قتال الجبابره كانه الليث العصفران
مال على جماعة طحنها او طايفة مزقها فلم يكن
الا شيا قليلا حتى ان طما جمرة الروم وخمدت
وردجوعهم الامير شاه بك قهرًا وزجرهم
بحد سيفه فرجعت مواكب الروم من بين يديه زجرا
الى الهرب وقالوا ان هذا البطل الذي هو في الشر
ولا يليق لاحد ان يقاتل مثل هذا الشجاع العقنفر
فلله دره من بطل بطل الابطال وهزم الاقبال
حتى صار بعض اكابر الروم يدعون له لما
راوا من شجاعته وفروسيته ما لم يظهر قط لغيرهم
وعلموا انهم لا يقاد موهم في ركوب الخيل
ولا في

87

ولا في ضرب السيف ولا في رمي السهام وانما
عمدتهم على رمي البندقيات ثم ان الروم لما
راوا هذا البلا انقهقروا الي ورا فلا زالوا حتى
وصلوا الى النيل السعيد وقصدوا انوضا ض
الحرب نهم في هذه الحاله واذا الغبار قد ثار
حتي ستر الاقطار فوقف الروم حتي ينظروا
ما الخبر وما كان لو قوفهم حتي ينظروا هذا
الغبار وايضا وقفت الجراكسه وصبروا قليلا
واذا الخيل تركض فقال لهم الامير شاذبك لا
تخلوا هذا الجيش القادم اذا لم يكون السلطا
طومانباي والا انهم عرب عزاله تتجاوا علينا
لنصر عدونا فما تم قول الامير شاذبك واذا
بهم عرب عزاله معقدمهم سلام ابن خبير
واخيه حماد وهم قاصدين الجراكسه فلما راوا
الجراكسه بادروهم بالسب والشتم فلما عاين

ذلك ان منهم عرف ان الامر قد صعب فاقتضي رايه
ان يوري لهم الهزيمة حتي يتبعوه فاذا اتبعوه
يبعدوا عن الروم بريقة عليهم وزعما ان الروم
يرموا عليهم طلقا فيكون فيه هلاكهم وكان
كذلك فانه لما اظهر لهم الهزيمة طمعوا فيه واتبعوه
فلما بعدوا عن الروم رجع عليهم الامير شاد بك
رجعة الاسد وقاتلهم قتال من ايس من الحياة
فما ثبتوا بين يديه درجة الا وقد ولوا منهزمين
وكلما بقي احد منه يقربه الا اهلكه فما شاعهم
الا الهرب واما السلطان سليم فانه لما راي
العرب قد انهزمت على الفور امر الرماة ان
ترمي فقال له الاعيان كيف ترموا على العرب
وقد جاو النصر لنا فقال اما رايتموهم وقد
انهزموا في اقل من ساعة ارموا ودع كل من
نزغ عمره يموت فرموا عليهم طلقا فاصاب غالبهم

فلما

88

فلما رات العرب ما حل لهم من الروم اغتاضت

قلوبهم وقالوا انظروا الى هذه العلوج نحن

نقاتل عنهم وهم يرمون علينا بالنار ولا نرجو نا

هذا جزا من نفعل المعروف مع غير اهله ونادوا

بعضهم من يرد السلامه يتبع الامير سلام واخيه

حماد فخرج سلام وتبعته العربان وما سلم منهم

الا كل طويل العمر فما مضي غير ساعه حتي انعزلت

عرب عزاله الي بعد قدر ميل ووقفوا ينظروا

لمن يكون الامر بين الفريقين فلما عاين الامير

شاه بك ذلك حسب لحسابه وانه متي ما رجع

الي قتال الروم يتقفاه العرب وتضايقه

ويفوته عن مراده فامر الامير كرتبا قانصوه

ان يكون في مايه فارس تحت الصنجق بمن معه

فاميناو حدوا العرب حملوا عليهم في المايه

والعرب في الوف وقد قتل منهم نحو الف والكثر

ثم حمل الامير شادبك والامرا المذكورين وهم صف واحد كل واحد منهم مقوم بحيش وحده ثم ذرهم من فوارس افراد عصرهم نحو الثلثماية تحطم علي الوف مولفة بالبندق وساير الات الحرب فلما راي الروم الامير شادبك رجع اليهم يريد الحرب صاروا يتعجبون منه غاية العجب وقالوا لا شك ان هذا الرجل مجنون وان معه احد من الجن يساعده علينا واما العاقل فلا يوقع نفسه في هذا الهلاك ثم ان السلطان سليم امرهم بالرمي عليهم بالبندق والالة المذكوره فلم تر الا الادم يفورا ورسن تطير وكان النهار قد ولى وغربت الشمس فالح السلطان سليم في الحرب وامر اجناده بان يضايقوهم وكان يرجو اخرهم في ذلك الوقت لان غالب عسكرهم منهم من قتل

ومنهم

89

ومنهم من هرب فما بقي الا الامرا الروس
وبعض مماليك فطمعت فيهم الروم غاية الطمع
وبذلت المجهود نسبه ذرهذه الفرسان القلايل
كيف تقاتل واصطلوا الحرب بانفسهم فلما عاين
سليم الامر بخلاف ذلك ودخل الليل نادى في
عسكره بالانفصال فرجع الامير شادبك والامرا
الي صناجقهم وصار الامير شادبك يشتمهم ويقول
لهم بلسان الترك اذهبوا الي شر رشتكم يا علوج
الروم يا كفره يا فجره ولم يرد له احد منهم جواب
ولولا ان الخيل عيت من تحتهم ما كان خلا عنهم
بقية ليلتهم ثم رجعوا ينظرون لهم محل ينزلون
فيه فقال لهم سيدي يحيي ابن الامير بزباك
ننزل على شاطي النيل تجاه عدونا فقال الامير
شادبك هو صواب لكن وجدت راي اصوب منه
وهو ان بالقرب بركة علي الطريق رعا ان السلطان

طومان باي يرسل لنا احدا او ياتي هو بنفسه
فلا ينظر الينا ولا يعرفنا في اي جهة نزلنا
فاستصوبوا رايه فلما شتوا غير ساعة الا وقد
اقبل عليهم خمسة فرسان من عند السلطان
طومان باي فاجتمعوا بالامير شادي بك واخبروه
بان السلطان نازل على دهشور دهو مشغول
الفكرة عليكم وما جاءه الغروب ثم ان ياتي اليكم
فراى النهار قد ولى وبلغه ايضا ان عز الدين
قد جار بوكمرشاعة لعدو وكم ساه ذلك
وانقبض خاطره وبقي متحيرا في نفسه فقال
الامير شادي بك ليته قد جانا في ذلك الوقت
بالطعن والضرب لا كنا احذناهم بواسطة
عن اخرهم ولو صح منه الراي لكان جانا والسيف
عمال ولكن الله اعلم ان دولتنا قد ولت وما
نحن نقاتل الا عن حريمنا واولادنا والله تعالى
في

اليه يجري عزيز ذلك

90

في خلقته متدبير ثم قال القاصد ان السلطان
امرني ساعة وصولي اليك لا تتاخر عنه ساعه
واحدة وتلحقه على ضيعة وردان فامر الامير الاتابك
عسكره بالرحيل فقال له بعض الامرا فان تبعونا
العسكر فقال هل سمعت ان الزردم تقاتل بالليل
انما هم مثل الفراخ يبيتوا من العصر فلما ساروا
ومروا على الزرد فقال لهم السلطان سليم
ربما جعلوها مكيدة لكم وفرح السلطان سليم
بذلك فانه قاسا من شاه بك سياسه وقد
انخمت قلبه وما صدق به حتى رحل عنه فلاذا ل
الامير شاذبك شاذبك سائر الى ان وصل
الوراق وكان تتطلع النهار واذا ابا السلطان
طومان باي نازل هناك فلما راوه على بعد
امر السلطان طومان باي جميع من معه من العسكر
ان يذهبوا معه الى ملاقاة الامير شادبك فارس

الزمان فلاقته الامرا باحسن ملتقى ودعوا
له وفرحوا بسلامته فلما قرب من السلطان
اراد ان ينزل عن فرسه فاقسم على السلطان
طومان باي ان لا احدا يترجل عن فرسه فامتثلوا
قوله وسلموا عليه وتم على ظهور خيلهم وسار
السلطان والامير شاد بك عن يمينه وقيت
الرجبي عن يساره ومن وراءهما والامرا فلما
وصل السلطان الى قطاقه ترجل عن جواده
وكذلك الامير شاد بك وبقية الامرا والاجنا
وجلس السلطان على الارض من غير كرسي وكذلك
بقية الامرا على قدر مراتبهم فقال السلطان
للامير شاد بك احذرنا يا امير عما وقع لك
مع من القتل فقال الامير شاد بك والله يا مولانا
السلطان وقع لنا معهم حرب يشيب الاطفال
في المهود ويلين لعظمته الحجر الجلمود وكنا الطايرين
عليهم

91

عليهم وَالغالبين لهم وقد كسرناهم حتى ارمينا هم
في البحر ولكن ما سلمنا من عرب عزاله فانهم
اعاقونا عن طلبنا وصدونا عن مقصدنا
وسعونا عن غرضنا وانى والله العظيم رب زمزم
والحطيم لو ثبت معي الالفين التي خرجت بها
من عندك ما كنت رجعت عنهم فكنت اقسمهم
قسمين قسم يقاتل الروم وقسم يقاتل عرب عزاله
ولكن ما شتتهم الا هذه النار التي يرمونها
فما اشعر الانسان الا وهو مضروب بها فما
نعرف من اين جاته ومن اين قتل احدنا
بالسيف الا بهذه البندقه ثم قال له والله
يا مولانا السلطان لو اصاب رايك وبعثتنا
بالالفين كنا كسرناهم وكنا اخذناهم مواسطه
وكانت ارتاحت قلوبنا من هذا العنا ولكن
الله اعلم ان دولتنا ذهب ايامها قد مالت دولتها

قد زالت فاني ارى الراي الصواب ننساه ولا
نذكره حتى يفوت ويمضي حكمه فقال له السلطان
طومان باي دع عنك هذا الافكار وانعم بما
نات واعمد الراي بما هوات فقال الامير قيتبه
الرحبي صدق السلطان بما قال له اضربوا الكم
راياً منيا تفعلون فان العربان كلها صارت
اعدا لنا وعونا لعدونا وليس فيهم من يقاتل
معنا لين ما منهم واحد الاو قتلنا له قريبه
او اباه او اخاه فذلك لما كانوا يعصوا علينا
ثم الان كل منهم يطلب لنا تاره واتا عدونا
جديد فنعطيهم الامان ولاسيما هذان الشيطان
الغزالي وخيرباك وهما يراسلان العربان
ويقولان لهما هذا ملك عادل مسلم ابن مسلم
الى سابع جد ويحب الخير والانصاف ويبغض
الظلم فلا امانكم سراق وبعد هذا ما بقي لكم
من

من الراي الا ان ترسلوا قاصدًا القبيله عزاله
التي هي اشد القبايل علينا وتوعدهم بكل خير
عسى ان يطيعونا ويميلوا الينا وان ابوا فاستعانتنا
بالله خير لنا من كل احد فعند ذلك امر السلطان
طومان باي بكتابه مرسوم الى عرب عزاله
فاول لما بدا انبيخهم حماد ابن الخبير وبخوفهم من
الله ومن غايه النبي وحلف لهم انهم ان اطاعوا
ودخلوا في طاعته لا يقابلهم الا باحسن المقابله
وان لم يفعلوا ذلك يكفونا شرهم قال وكانوا
يجتمعون من بعيد ويرسلوا من ينظر لهم الخبر
فلما ان تقع الكره على الروم فيرمحون رمحه
واحده على الجراكسه من خلف ظهرهم فيعيقوهم
عن هزيمة عدوهم فلما ان الجراكسه ترى الامر
دهاهم من خلفهم فيرجعون عليهم ليكفوهم عن
انفسهم ويرده ومن فتحنا بالروم ويرده ومن الروم

نه بهذه الوسيلة غلبت الروم الجراكسة غاية الغلبة

قال الراوي فلما ان وصل كتاب السلطان طومان

باي الى حماد ابن خبير مع رجل يسمى محمد شيخ الدكاريه

فلما قراه حماد دفعه لاخيه سلام فقراه وعرف

ضميره فقال سلام لمحمد شيخ الدكاريه انت يا محمد

ما تعرف ما جرى بيننا وبينهم وما فعلوا بنا

وكم يعطونا الامان ثم يغدرون فقال محمد

انما كان ذلك من الغوري واما هذا طومان باي

فانه رجل صالح وعبد ناصح ما سمعنا عنه سو ابدا

فقال حماد واخيه سلام حتى ننظر العرب ان كانت

تطيعنا على ذلك ثم نادى في الحي لجميع العرب

ان تجتمع الاعيان منهم فلما اجتمعوا قرى عليهم

مكتوب السلطان طومان باي فلما سمعوا قاموا

قومة واحدة وقالوا لا نسمع له ولا نطاعه

ولا بيننا وبينه الا السيف فقال محمد شيخ الدكاريه

يا دجون

93

يا وجوه العرب اما ما قلتم عن الغوري فانه كان
صحيح وانظروا كيف اخذه الله واما هذا الرجل
طومان باي فما سمعنا عنه سوا بدا الا في زمان
الغوري ولا في غيره فقالوا له ان هذه الطايفة
قد ذلتهم وقد زالت ولو قمنا معهم ونصرناهم
لا يفيد ذلك ولكن نحن نجعل لنا يد عند السلطان
سليم فانه صاحب باس شديد فاقصر الجواب
فما بقي لك معنا كلام والسلام فلما ايس منهم
رجع الى السلطان طومان باي واخبره
فقال لهم الامير شاذ بك قد بان لكم صحة قولي
فقالوا له جميع الامرا والله ان رايك في جميع
الامور صواب في يوم الريدانيه وانت تقول
لا تدفنوا المدافع في الرمل وقنبردي الغزالي
يقول الصواب دفنها حتى لا ينظرها احد
وانما كان ذلك منه مكرا وعنادا ولا القاه الله

خيرًا فامنت جميع الامرا علي دعايه وكان كذلك
فلم يلق خيرًا الى ان قتل اسوا القتلات وسياتي خبر
قتله فيما بعد فقال السلطان طومان باي الراي
عندي ان نتوكل علي الله تعالى والله يويد بنصره
من يشا ، وكان هذا السلطان طومان باي من
اول سلطنته الى اخر عمره لم يجفا جفانه من الدموع
الا قليلا لاثنر انه قال لهم يا قوم اننا ثقلنا علي
اهل هذه القريه والراي ان نرحل الى ضيعه
فامر السلطان بالرحيل واقام من وقته وساعته
فقامت جميع الامرا الاعيان المذكورين بلا
فايده في التطويل فما كان الا ساعه حتى وصلوا
دبيارو تلقوهم اهلها احسن ملتقى وباتوا تلك
الليله فما اصبح الصباح الا وقد قدم عليهم
خيال من اهل تلك البلاد وهو يصيح الخيل اخذتكم
فما استتم كلامه الا وقد اظلم الوقت من شده الغبار

وركبوا

وركبوا وخرجوا الى الحرب والقتال والتقوا
من غير ترتيب فوقع بينهم من الحرب ما يعجز عنه
الواصف فمنه ذرّ الامير قانصوه العادلي والامير
شادبك راس الامرا وما فعلوا ذلك مع هذه
الجموع واما الامير قيت الرجبي فانه تحارب
مع قنبردي الغزالي في حومة الميدان واقتتلا
قتالا شديدا اضحى يحير النظار فيما وقع
بينهم من الحرب ثم تقاربا من بعضهم حتى تقابضا
بالاطواق فلم يقدر قنبردي الغزالي يتعتع
قيت الرجبي من سرجه مع انه رجل كبير السن
في عشر التسعين وقد بحبوسا في الحبس سنين
ومع ذلك لم يتحرك له ادمان فعلم الغزالي
من نفسه العجز ودخل عليه الجبن فقال في نفسه
اذا كان فعل هذا الشيخ الهرم فكيف لو وقعت
مع شادبك ثم انه جمع نفسه واطلق الامير قيت

الزحبي ثم ابعد عنه واستعد له عليه بطعنه من
قنطاريته من فوق الظهر قلبه عن جواده واراد
ان ينزل اليه ويقطع راسه واذا بفارس خرج
عليه صرخه افلجه وطعنه طعنه اسرع من خروج
السهم من كبد القوس فوقعت في خاصرته اقلبته
عن جواده وانثني راجعا ذلك الفارس الى الحرب
والقتال فالتهي العز الي بنفسه عن قتال الزحبي
فبادر الامير قيت الى حصانه وركبه وركض
الى خلف ذلك الفارس الذي كشف عنه واذا به
الامير شاذبك فارس الزمان فدعا له من
صميم قلبه فاراد ان يكون معه في القلب وما زال
يشق الصفوف ويفرق الالوف حتي عجز وكل جواده
وكلت سواعده فلما علم من جواده العجز والتعب
انثني راجعا حتي خرج من المعركه نواحه وسلا
اقبلت من كبد البر لا يحيط بها الحصر واذا بهم عرب
غزاله

95

عزاله فضا دفنوه على هذه الصفه وقد بطل
حصانه فرشقوه بالحراب فمنع عنه اللبس فصادفه
سهم فوقع على وجه الثرى فنزلت عليه النهابه
فجردوه مما كان عليه وقتلوه هذا ما كان من
امر سيف الرحبي واما الغزالي فان مماليكه لما رعوا
اليه لما راه الامير شادبك وحملوه الى
وراحتي ادخلوه في الوطاق واسقوه السكر
ووجدوا اخرجوه سليما واما الامير شادبك
فلانه لم يزل يقاتل قتال الجبابرة حتي كل من تحته
الجواد وتضاعف على الجراكسة المدد والاعداد
وفاض بحر الروم حتي ملا السهل والواد وقصرت
الطايفة الجركسية لتقصيرها لانه كان ظنها
بالعماد وكثر القتل في الجراكسة وزاد عليها
الجمع من العربان التي في تلك البلاد فلم يزالوا
في الحرب الشديد اذا لاح لهم غبار وحتى سد

الاقطار فتنحا كل فريق عن الاخر حتى يروا

ما تحت ذلك الغبار فما مكثوا غير ساعه ووصل

الخيل وهم يصيحون يا لقيس نحن فرسان غزاله ذووا

الكفو والكفاله اليوم ترو وا يا بني جركس الموت

الاحمر فرتو وتقوا من سيوفنا الوبال الاكبر وكان

المتكلم بهذا الكلام الامير سلام واخيه حماد

اولاد خبير فقصد حماد سلام الامير قايصوه

كرت فوقع بينهما ما اندان من الحرب يحير النظار وحملت

فرسان غزاله على الجراكسه حمله منكره وكذلك حملت

الروم من الجانب الاخر واخذوهم بواسطه وضايق

الامير سلام كرت قايصوه حتى ازماه البحر وما بقي

معه سوى عشرين نفر من مماليكه والذين مع سلام

نحو الالف واكثر فلما وقع الامير قايصوه كرت في البحر

ثقل على الفرس بلبسه وكان الفرس كل من التعب

فلم يجد له منعه ان يعدي الى ذلك البر فغرق هو وفرسه

وغالب

وغالب بما لبكه وذهبت اكثر الشاوات وما سلم
منهم الا القليل وكان رحمة الله حسن السيره حسن
الاخلاق اذا راه انسان يقول تبارك الخلاق واما
سلام ابن خنير فانه رجع علي الجراكسه رجعه وهو
ينادي يا لاخذ الثار فواحد الامير شادبك
علي ما هو عليه من الحرب فلله دره من فارس
للاعدا فارس وفي ما ينبي تقاتل الوف فوقعة
الجراكسه في كوة النقصان فهم في هذه الحاله
واذا بعجاج قد ارتفع وذلك الغبار قد ثار من
ناحيه ارض وردان وهم يصيحون بالنصر الى
عثمان فبقيت الجراكسه لا يعرفون الي من يقاتلوا
والي اين يذهبوا قال صاحب الحديث وان القوم
لما وصلوا ضربوا ميدانا وكانوا من جماعة الغزالي
ثم ان قنبردي الغزالي برز الى حومه الميدان ونادي
باعلا صوته يا الجراكس هل من مبارز فقال

فقال السلطان طومان باي الخاصكي من الذي
بين يديه ابرز له فبرز من وقته وساعته ولما
ولما صار في ساحة الميدان قال له ذلك الفارس
الذي هو فنبردي الغزالي يا خاصكي هل روحك
ضيقت عليك حتى جيت بها الى الهلاك ارجع
الى اهلك فقال له الخاصكي فانت من اين يا احمق
العربان حتى تهددني بهذا الخطاب فان فنبردي
الغزالي لبس لبس العرب وتكلم بكلامهم حتى لم تعرفه
احد فما ظنه الخاصكي الا بدويا من عرب غزالة
ثم ان الخاصكي قام في سرجه وطعنه طعنة بالمزراق
تخرج من يده كالبرق اذا البراق فلما نظرها فنبردي
الغزالي حاد بالقصد الى صدره وان توانا
وقع ناحرف لها في ظهر الجواد وخطفها من الهوي
ثم صاح على الخاصكي ادهله وقال له خذ حرتك
فانك مقتول لها وطعنه بها فغطس عنها الخاصكي

وتكلم

هضبه

97

وضبر عليه حتى استوي علي رجبه وعاجله بها
قبل ان ينظرها فوقفت في نحره فوقع الي الارض
طريحا ثم ان قنبردي الغزالي جال في الميدان
وطلب البراز ولم يعرفوه الفرسان الجراكسه
وما ظنوه الا بدويا من الفرسان المخبوره
فانهم لو عرفوه لرموا انفسهم عليه وقطعوه بالسيوف
فانه اقل من جاهم واعزي عليهم ولولا هو لا
ما قدر سليم يجون في ارض مصر فان لكل شي افة
من جنسه فان تيمورلنك لما خرج علي الناصر فرج
ابن برقوق احرب اهل الشام وحلب واطلق فيهم
النيران ولكن اذا اراد الله بامر هيا اسبابه
فلازال قنبردي الغزالي تبرز اليه الفرسان
واحد بعد واحد حتى قتل منهم عشرة فهابته الجراكسه
وقالوا قد تعجبنا من هذا الانسان فما عرفنا هو انسي
ام من الجان فقال لهم قنبردي الغزالي يا الجراكس

ركبوا نفوسكم وابرزوا الى سلطانكم طومان باي
ان لم تقتلني ام اقتله فلما سمع طومان باي كلامه تعجب
منه وقال الا ترون الى قوة هذا الفارس واقدامه
وشجاعته وكثر كلامه فهل فيكم واحد يكفيني شره
فقال له قج انا يا مولانا السلطان فقال له ابرز
اليه وخذ حذرك منه فانني اراه سريع
الحركات ولا يخلو ان يكون بطلا من الابطال
المخبوره ولولا ان فرسي تعب برزت اليه ولا اظن
فيكم احدا يقاسيه في فروسيته فقال له قج انا
اكفيك شره بعناية الله تعالى ثم برز اليه قج
وكان من الامرا الالوفين وكان قد تعين له
امريه مقدم الف موضع الامير كرتباي الوالي
رحمه الله ولو كان الامير شادبك حاضر في ذلك
الوقت ما تركه يبرز الى هذا الفارس فانه
كان من شده محبته له يفديه بنفسه في كل امر
صعبا

صعب

ولو عرفوا ان هذا الغرالي ما برز له الي طومان باي
او الامير شادبك فانهما يرجحان عليه في الفروسيه
فلما نزل اليه الامير قلج وحمل عليه فوقع بينهما من
الحرب انداً با حتي تعجبت الناس من هذين الفارسين
ثم ان الامير قلج ضرب قنبردي ضربه فقطعت
الخوده والرفاده والثانيه مخرمته جرحاً خفيفاً
وضربه ضربه مثل علي عين الامير قلج فاراها
كما يري العلم فوقعت هي والسيف فاخذها وحمل
فاقتحم عليه قنبردي وضربه اطاح راسه عن
جسده فلما عاينت الجراكسه ذلك عز عليهم
قتل الامير قلج وقالوا ما بقا وسنا هذا البطل
الا الامير شادبك او طومان باي ثم انه جال
يميناً وشمالاً واعجب بنفسه وصار وصار يسب
الجراكسه ويشتمهم ويقول من يقاوم السلطان سليم
او يثبت بين يديه وصار علي هذا الحال ولم يعرفوه

انه العقرالي فقال لهم ان كان سلطانكم فارس
يقاوم الفوارس يبرز الى حومة الميدان وينظر
نفسه ان كان يربح او يقع في لفة الحزن فقال
السلطان طومانباي ها نا قد جيت الى عندك
هات ما عندك من فروسيتك وشجاعتك
لا ينبغي تقول ان السلطان طومان باي يخاف
لكن هات ما عندك ثم قال له السلطان
انظر يا ايها الفارس اني لم اتقاتل انا واياك
حتى اتكلم معك كلاما لعل ان يكون فيه
صلاحا لي ولك فقال له قل ما عندك فقال
السلطان طومانباي اريد منك ان تخبرني موات
او لا وما الذي حملك على قتل فرساني من غير ديه
سبقت مني اليك فاني والله منذ ما ادركت نفسي
ما اعلم اني بغيت على احد وظلمت وما افتريت
على ذات امر سلطنتي هذه والله ثم والله لم تكن

بمرادي وانما الامير علان والامير كرتباي الوالي
رحمهما الله تعالى والامير شادبك ابقاه الله ارتدوا
وقالوا الا نرضى لهذا الامر الا انت فعلت انه امر
سلطاني لربه فاما هذا الرجل سليم الذي يدعي
انت انه ملك عادل وانه لا يحب الجور فكيف انه يجور
ويعتدي علينا ويرمي علينا بالنار والمدافع
والاحجار ويقتل رجالنا ويسبي نساءنا واولادنا
ونحن مسلمين مومنين موحدين قايمين بجماعة الدين
فلما ان بغي علينا وتعدى حده وجب علينا ان نقاتل
عن انفسنا وحريمنا واولادنا ونقاتل ذلك باذن
من الله تعالى كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم
الاية ونحن في الزمن الاول قدرنا عليهم مرارا
وعفونا عنهم والان قدروا فما عفوا وملكوا فما
رحموا وحكموا الحجارة فينا ما لا يفعلوه في عبده
السلطان وهم جداهم وجيرانهم وانا نحن مسلمين

موحد بي فاني سالتك بالله وبمحمد رسول الله
ان تكون معنا او تكون حتى ذات احوالنا من الان
او نتركنا لا لنا ولا علينا ولا عليهم وتكفينا
شرك وان اخترت الا الحرب والقتال فاني لا
اقاتلك الا ان عرفتني بنفسك فانك قلت لا تريد
الا انا بها نا قد حييتك بنفسي والكشف لثامك
فاني متحير فيك واشكل علي امرك فلا انت بدوي
تعرف ولا اجنبي تعرف وكلامك لا يشبه كلام العرب
فاني اقسمت عليك بالذي خلقني وخلقك الا
ما اخبرتني من انت فقال له اقسمت بالله الذي
خلقني وخلقك وخلق الخلق اجمعين فلان
اصدقك الحق واعرفك بنفسي ثم كشف لثامه
فاذا هو قنبردي الغزالي فلما راه السلطان
طومانباي غاب صوابه من شدة القهر وقال
له يا ابن الف قرنان ونسل اولاد الزنا اللئام

يا خبيث

يا خبيث

يا ملعون يا ابن الملعون يا خاين يا ابن الخاين
ولهذا سمعت الخوان فان الذي ضرب من حربه شهر بتة
ما كنا انه فانه اسمه سليم خان ومن خان لا كان
وانت ايضا عاهتنا وخنتنا وعاكستنا واغريت
علينا اعدانا تالله العجب كيف طابت نفسك الخبيثه
بذلك ولكن الله العظيم حيث قال الخبيثات
للخبيثين الايه ثم ان السلطان طومان باي
حمل عليه حملة منكره فما ثبت بين يديه الا وقد
طعنه السلطان طعنة بقنطاريته اقلبه عن ظهر
فرسه ثم وضع القنطاريه على ظهره صدره واراد
ان يقتله بها فقال له اني سالتك بوجه وتوكلت
اليك برسول الله وبسيدي ابي السعود الجارحي
ان تجعلني عتيقك في هذا اليوم فلما سمع السلطان
ذلك القسم رق قلبه وذلك من كمال دينه رحمه
الله تعالى فقال على شرط تكفينا شر العدو الذي

جبت لنا البنا وانك لا تستحب في وجه احد من ال
جركس سيفا فحلف الغزالي علي ذلك وقد شدد
عليه في الايمان فعند ذلك رفع السلطان القطا
عن صدره وقال له قم يا خبيث حمها فقام الغزالي
وهو ينفض التراب من علي راسه وجا الى رحل
السلطان وقبلها في الركاب وهو يكاد ان يبكي
ونادم على ما فعل وسار الى فرسه وركبه ولتار
الى جماعته ارجعوا عن القتال فقد حلفت له
اني لا اقاتله واني غيروا في الايمان ولكن اخاف
اذا رجعت اليه يقتلني واني راجع من هنا الى محل
احزاقيم منه الحرب وانا غير ملبوسي الذي رايي لابسه
واما السلطان طومان باي فلم را الان دولته
قد وليت لانه لو قتلني لاكتفى من شري ولكن هو
هو علي وعفي عني الا انا والله ان قدرت عليه لم اعفو
عنه الا ان وصلنا السكلى العظيم ثم قصد الى نحو
صحو

151

صنجق السلطان سليم وفي هذه الساعه وصلت
العساكر التي خلاها السلطان مع الوزير يونس باشا
في مصر لتساعدي الى بر الجيزه الى قتال الامير شادبك
وكان السبب في قدومهم مكاتبه ارسلها يونس باشا في الليله
الماضيه يامره بان يعدي من بر انبابه بجميع من معه
من العسكر فلما وصلت هذه العساكر في تلك الساعه
اشتد ظهره وقويت نفسه واما السلطان طومان باي
فانه لما عمي عن الغزالي ورجع الى الصحيفه فلم يرا
تحته الا القلايل مما سلكه وتقيد الامر ان يشتغلوا في
الحرب والقتال ولكن الكثره غلبت الشجاعه فيه
ذرهم من فيه قليله غلبت فيه كثيره والعسكر لا نعلم
لها اقل من اخر فاندهشوا وتحيروا في امورهم
وقال الظهر الامير شادبك والامير قانصوه العادلي
يا الجركس اثبتوا فان القتال ليس بكثره العدد
والمدد وانما هو بزياده الصبر والجلد وانزلوا

قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين وها انا امامكم وفريد عصره
السلطان طومان باي نصره الله يرد عنكم ودونكم
والحرب فنادمنا في شدة الحياة فلا تخافوا من احد
ولا يغركم كثرتهم فاني وعزة الله لولا هذه النار
معهم لقاتلتهم بنفسي ولا اتركن منهم فانى ما اعجبني
ولا فارسني لولا هذه المدافع والنار ما ثبتوا بين
ايدينا وقد قالت العارفين الشجاعه صبر ساعه
قال صاحب الحديث ثم ان السلطان سليم لما
عاين من الجراكسه زياده الصبر والجلد فتعجب منهم
غايه العجب وقال والله ان هذا القوم لا يطاقون
ولو اني علمت انهم بهذه الصفه ما دخلت بلادهم
ولا حاربتهم ولكن ما اظن الا ان هذا الامر
قدره الله تعالى في القدم ثم اخذ في تدبير
المكر والحيل فاقتضى رايه ان يامر باحضار سيدي
محمد

102

محمد ابن المرحوم الغوري رحمه الله تعالى وامر د
له صنجقا وارسل معه جماعة وامره ان تقارب
عسكر الجراكسه ثم ينادي المنادي من قبله يا ال
جركس كل من دخل تحت صنجقنا كان امنا على نفسه
وماله وعياله فتفعل فلم يجبه احد لشده ما هم فيه
من الحرب والكرب قال الراوي فلما وصل سيدي محمد
الى السلطان سليم وقال له لقد دعوت فلم وجدت
ملبيا وسكت فما وجدت مناديا فقهم السلطان سليم
ذلك وعلم انها نوبته صعبه وان هذا اليوم ما
بعده يوم اما له واما عليه وانه متى حصل له
النصر من هذا اليوم لم تقم للجراكسه بعد قايمه
ولا تقم لهم راس وان تحصل لهم النصر فقد ذهبت روحه
قال الراوي ثم وقعت جموع الروم وعيت والتهمرت ودا سوا
بعضهم البعض وان الامير شادبك ومن معه من
الاعيان الذين تقدم ذكرهم اتفقوا ان يكونوا على

قلب رجل واحد لا يخرج منهم احد وصاروا كلما
راوا الرؤسا من الروم قد تقدم من المحرك لمحاربتهم
عليه فيه ذرهم من فرسان يقاتلون الوف ولا يعتنون
بهم لولا هذه النيران والا ما كانت الروم قدروا
عليهم منهم في هذه الاحوال واستبشرت العراكسه بالنصر
واذا بغبار قد ثار من جهة الميمنة فنظروا اليه واذا
بصياح اخر وغبار قد ثار من جهة الميسرة ثم بصياح
اخر من خلف ظهورهم فتحيروا في انفسهم الى اين يذهبون
وسبب ذلك ان قنبردي الغزالي لما رجع منهزما
من السلطان طومان باي الى السلطان سليم
واخبر بانه صدمهم وقتل منهم عشرين فرسان ولكن
طومان باي وشاه بك وقاصدوا العادلي عجزوني
عن مرادي فاخترت الرجوع اليك فلعل ان تكون
النصر لنا فقال له السلطان سليم يا هو يا تي
منصور قال له تامر بان اعان الانكشاريه ان

يذهب

109

اذهب

ان يذهب من جهة وانا من جهة الجزيرة وتامر
وتامر يونس باشا ان يذهب من جهة اخرى بمن
معه من العساكر وانت بمن معك من جهة اخرى
وننطبق عليهم فانهم فيه قليله ولولا ان فيهم هؤلاء
الفرسان المخبره فلاما كانوا اشتوا معنا ولا ساعه
واحده فقال له السلطان نعم الراي وارجوا ان يكون
فيه النصر بتمامه بما اشار به قنبردي الغزالي ثم مضى
عشر ساعه حتى تدرقوا ثم احاطوا بالجراكسه من كل جهه
وجانب وكان غريب عن غزا له نيه ذلك السلطان
طومان باى والامير شاد بك وقانصوا الغادلي
ويحيى ابن الامير ازبك وراس الجلبان وقولباى
ورمك الناشف وما فعلوا هذه الفرسان القليله
مع الوف مولفه وما فعلوا فصارت هذه الامرا
المذكورين متحدين الركاب في الركاب لا يفارقون
بعضهم بعضا وهم دايرين في وسط هذه العساكر

لايدرون اين يذهبون ولولا هذه النيران والا

ما كان لهم حال وما قتل احد من الجراكسه لا بسيف

ولا عود واما الامرا المذكورين لم يجرح منهم احد

فانهم كانوا اذا امروا على كردوس اهلكوه ولا يغلب

الله غالب ولكن في هذا اليوم قتل من الجراكسه

اكثر من كل يوم بهذه الحيله الذي عملها افندي

الغزالي فما تم النهار الا والمنادي في الحرب

بالانفصال وافترقوا على هذا الحال وقد قلت

الجراكسه عن بعضها ورجعوا وهم لا يعرفون بعضهم

بعضا من شدة ما حصل لهم في ذلك اليوم وليس

الخبر كالعيان قال الراوي فنزل السلطان سليم

على قرنيه وردان ونزل السلطان طومان باي

على قرنيه اسفل منها على شاطي النيل السعيد حيث

ان كل عسكر ينظر للاخر وباتوا تلك الليله في اسوا

الاحوال من شدة ما حصل لهم من القتل ثم صلوا العيد

ما اكلوا الطعام الذي جاهم من القرية فاخذوا في ضرب
الراي والله يا اخواني ما اظن الان دولتنا قد مالت
فاني ارى كلما فعلنا شيا نريد ان يكون فيه صلاحنا
فما يكون فيه الا بضده ولا ارى اعدانا كلما لهم
يزيدوا والغالب على ظني بان زوال ملكنا والظفر
لعدونا فانظروا الى قول القايل شعر
ان اقبل السعد قم قاعًا واقتبس من الشيخ نارًا وان
رقد السعد ارقد سه فما المجري في الفلك لاختيارًا ثم
انه قال لهم يا قوم هذه الوقعة قد اضرت بنا وهدمت
معقد الامير فارضوا كرت دلسا ولا بقي لي راي الان
حسن بن مرعي وابن عمه سقر شيوخ عربان محارب
وانا قد ولتيهم عليهم واطلقت حسن بن مرعي من
الحبس بعد ان كان المرحوم السلطان الغوري
حبسه وكتب على قيده مخلد وقد اطلقته لما صار
الامر لي واخذت عليه العهود والمواثيق والايما

المغالطة انه يكون معنى ظاهراً وباطناً ويكون معنى
بالقلب في القالب اذا احتاج الامر الى ذلك وسائر ذي
احسن من سيرنا اليه ونكون نحن وآباه على قلب
رجل واحد [illegible] تدبر امرنا وننظر ما يكون من جانب
الله تعالى فان الامر كله لله وهم باغين والباغي له
مصرع ثم انه امر بالرحيل في وقته وكان الوقت
نصف الليل فقال له بعضهم ان قام علينا العدو
في هذا الليل فقال هل رايت الروم يقاتلون
بالليل فهذا الامر لا يكون وانما اعتاد هذا القوم
على رمي البندق فما كان الا ساعة حتى ركبوا
وساروا من وقتهم وهم مستيقظين لانفسهم حتى
وصلوا الى مدينة سنجا وكان حسن ابن مرعي
وابن عمته سفر قاطنين لها وعوبهم منتشرين لها
فلما نظروا الى خيل السلطان هو ماذا بادي قد اقبلت
تبادرت اليه الفرسان وسادات القبيلة وركب الامير
حسن

105

حسن بن مرعي حتي قارب السلطان طومانباي
فترحل عن جراده هو واولاده وعشيرته ثم قدم
علي السلطان وقبل رجله في الركاب وطلب من
ان ينزل الي منزله في الضيافه فقال له مالكن ناضين
للضيافه ولا لغيرها هاذا العدو في اثرانا وقامت
علينا العربان من عرب غزاله لالقاهم الله خيرا وخصوصا
سلام ابن خبير لا لحمه الله لخير فما جيت الا لتشطولنا
محل يحمي بوثم نذبر امورنا فيه فقال له الامير حسن اذا
كان الامر كذلك اعرف لكم محلا يقال له الغنابه
وهو وادي كبير واسع وافر المياه اذا تحصن فيه القوم
ووقف علي بابه رجل واحد لا يمكن ان يدخل منا
اثنين يمنع من يدخل ولو كانوا الوفا من الناس فان
هذا الوادي لا يمكن ان يدخله غير فارس واحد
ولا يدخل منه اثنين متساويين لانه ضيق جدا
ومن الارض ارض سربو ابحه كل من زلت قدمه ودابته

عليها تناصت به وهجس في نفسه انه لا يحصل له من هذا
الوادي خير ثم قال له وهذا الوادي هو قلعتنا اذا اقصدنا
احد من اعدائنا وعلمنا انه لا قدرة له علينا فنذهب
الي هذا الوادي ونامن علي نفوسنا ثم لكم يا مولانا
السلطان اعدل منه ولا احصن فقال له السلطان
اركب وسير بنا علي بركة الله تعالي لعل ان نخص به
وما يكون الا ما يريد ربنا فسار وامن ووتهم حتي وصلوا
الي فم الوادي فوقف حسن ابن مرعي وقال له يا مولانا
السلطان هذا باب للوادي الذي يدخل منه الينه
فوقف السلطان وقد غطس قلبه وانقبض خاطره
وهجس في نفسه انه لا يحصل له من هذا الوادي خير ابدا
فحبس فرسه ووقف في مكانه وتحير في امره والتفت الي
امرا دولته وقال لهم اني نخبركم بما رايته من قيمة
يومين رايت نفسي في هذا الوادي وانا علي جانب
البحر المالح وقد قامت فرسة عظيمة واظلمت الدنيا

ولا

106

ولا بقي احد مع احد واذا بخمس كلاب سود وقد احاطت
بي واردت تفترسني فجذبت سيفي واردت ان اضربهم
فتطار من يدي وسقطت عمامتي ودقت الكلاب في
ونبضوا علي وضربت بينهم كقاطعة اللحم كل واحد
ماسك من ناحية فايست من نفسي فانتبهت مرعوبا
وقد عمني العرق فلما سمعوا الامرا منه هذا المنام
تشوشت خواطرهم فقال بعضهم ان هذه الرويا
لا تدل على خير وان هذا مما يدل على الظفر لعدونا
والنصر لهم علينا فان وقوع العمامه علامه على
زوال المنصب واما قيام البحر فانه قيام هذا
السلطان علينا واما عدم السيف فانه يدل على
عدم واما الكلاب فانهم روس الاعدا ينتبضون
عليك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان صحت
هذه الرويه فقد والله زالت دولتنا وانقضت
مدتنا فقال لهم السلطان طومان باي ما بقي لنا حيلة

نختار الجهاد لانعذ نستعين وقد قاتلنا حتى تلفت
نفسنا وتثلمت سيوفنا وقد قامت الدنيا كلها علينا
فماذا عسى ان نصنع فاما ان تقعدوا ردت ان اسلم نفسى
فان كان بقى فى عمرى بقية فانهم يعطونى الامان وان
كان قد فرغ فان كنت على فراشى فاموت واما انتم
يا اغاوات فقد خالتكم فالتذهب كل واحد منكم
الى حيث شا واراد فلما طال الوقوف قال الامير
حسن بن مرعى يا مولانا السلطان انى اخاف عليكم
ربما العدو يكون قريبا منكم فيعيه عليكم الدخول
من مضيق فم الوادى فادخلوا على بركة الله تعالى
ثم بعد ذلك اجلسوا واستريحوا ودبروا امركم كيف تختاروا
قال الراوى فدخل السلطان طومان باى من باب
الوادى ودخلوا وراه الامرا وبقية الاجناد فقال
قبلوا الامرا الحق معك لا نفارقك حتى تذهب روحنا
فلان الهم حسن ابن مرعى حتى اوصلهم الى صدر الوادى

فضربوا

١٥

وضربوا للسلطان خيمة على تل عالي وجانب البحر المالح
ونزلت بقية الامرا في خيمتهم فما هدت نفوسهم حتى
جاد السلطان مضرب الراي واما حسن بن مرعي
فانه اخذ من السلطان اذنا ان يرجع الى بلاده وياخذ
لهم الاخبار ثم يرسل يخبرهم بما يقع على التفصيل فاذن
له السلطان في ذلك ودعي له ثم قال السلطان للامرا ان
هذا الوادي خير لنا من قلعتنا التي كنا بها اما انهم
يحنا حسن ابن مرعي فقالت الامرا عن لسان واحد
الله يخون الخاين فلما رجع حسن ودخل الى منزله
سالته امه عن السلطان طومان باي فقال لها
قد ادخلته في وادي الغابه وها انا قد رجعت
فقالت له يا هذا الذي يجب ان تصنع اخبرني عما في
ضميرك فقال لها ان هولا القوم دولتهم قد زالت
وامورهم قد حالت لا سيما وعدوهم قد ملك البلاد
وحكم العباد وولى وعزل من اراد وهولا لم يبقى لهم

من الامرشي ابدا الا ظهر رخلهم وقد احترت في امري
فان قاتلت عنهم فلا قدرة لي على ذلك وان قاتلت
معهم فقدنا وقعت في المهالك فقالت له امه وكانت
من الصالحات يا ولدي فالايمان والعهود التي
حلفتها انت وابن عمك له ما تقول فيها فقال لها
ولهذا اني متحير في نفسي فهو في هذا الكلام مع
والدته واذا بفرسان القبيله قد جات مرعوبه وهم
ينادون اركب يا امير حسن فاننا ننظر على جراد
وخيل ملان الاقطار فركب حسن وسار حتى اجتمع
باول الخيل القادمين واذا بهم عسكر سليم خان
في طلب السلطان طومان باي وكان السبب في ذلك
ان السلطان طومان باي لما دخل في الليل كما تقدم
ولم يشعر احد وطلع النهار وطلب السلطان وحوله
اكابر دولته فقيل له انه نصف الليل قام هو ومن معه
خمسة انفار من مماليكه وتبع السلطان طومان باي

وخاف الاصحاب منك فلم يات فتردد الغزالي بانا ففتش عنه السلطان صح

فهو

108

فهو الى الان لم يات فخاف عليه السلطان سليم وقال
لخير بك انظر الى قلة عقل صاحبك كيف يخاطر بنفسه
ناتهم ان عطشوا بهم لا ينجو منهم ابداً اوانه لمن قتل يبطل
امرنا وخشي السلطان ان يطيل عليه الامر وحسب
حساباً الاعادي الذي حول القسطنطينية انهم
ان قاموا على البلاد كيف نفعل وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم قد غزرنا بانفسنا وجونا
في هذه البلاد فما الراي عندكم قالوا الراي فيما
يراه الخنكار فاطرق براسه متفكراً فيما يفعل واذا
واذا ابغنبردي الغزالي قد اقبل فلما حضر بين يدي
السلطان قال له اين كنت يا امير قد تشوش خاطري
عليك غاية التشويش فاخبرني بما عولت عليه قال
اني نصف الليل لما ان رحل طومان باي احببت
ان انظر الى اين يذهب فركبت وتبعتهم على بعد
وحسبت ان يدوروا ويأتونا من خلفنا ويكبسوا علينا

نزانيتهم قد ساروا الى نواحي البحيره او الغربيه فلما
سمع السلطان سليم هذا الكلام قال له فما الراي
قال الراي عندي ان تعطيني من العسكر ما اريد
ويكون صحبتي الامير خاير بك واروح نقتله وارجوا
ان لا ارجع لك الا به قال له السلطان هذا العسكر
بين يديك خذ معك من شيت منهم فاختار ان
ايانس اغات الانكشاريه باربعة الاف معه
وخيربك باربعة الاف خيال فامر السلطان سليم
بذلك وامر ان يكون الترار عليهم فرحات باشا ن
وخايربك والعسكر الى تحت لين وساروا ورا السلطان
طومان باي وهم يسالون من البلاد حتى نزلوا على قرية
محارب فخرج لهم حسن بن مرعي كما تقدم فلما اجتمع
لهم قالوا له انا سايرين في طلب السلطان طومان
باي هل سمعتم عنه خبرا او الى اين ذهب فقال لهم
الذي يدلكم عليه ويسلمه لكم من غير حرب ولا قتال

ماذا يكون له عندكم قالوا له ان اردت شارطناك
علي ما تريد وان جعلت الامر لنا والسلطنة لنا فكان الذي
يحصل لك فالتزم بما توسل فقال لهم علي تسليمه اليكم
واجعل الامر عندكم فضمن له الوزير فرحات باشا
ان يقدمه عند السلطان علي جميع مشايخ العربان
وان يقطعه ارضه اقطاعا الي ان يموت لا يوخذ منه
الدرهم الفرد ثم ان الوزير خلع عليه قفطانا مذهبا
من الخلع السلطانيه وايضا ابن عمه شكرو وعدهما
بكل خير ثم خرج حسن بن مرعي وابن عمه وهما
فرحانين حتي دخل حسن علي والدته فقالت له
ما هذه الخلعة فاخبرها بما وقع له وانه التزم
لهم انه يسلمهم السلطان طومان باي فقالت له يا ولدي
انسيت ما فعل معك السلطان طومان باي وقد
اطلقك من الحبس وامنك بعد الخوف وحلفت له
الايمان المغلظة انك ما تخونه فكان هذا جزاوه منك

ان تسلمه لعدوه وتظن انك اذا فعلت ذلك لا عصى
عليك عصيه تكون سببا لهلاكك فقال لها فما الذي
افعله وقد رهنت لسانى معهم بانى اسلمه لهم وان لم
افعل ذلك والا ما اسلم من شرهم وربما يسطون
بى فلا تنفعنى لا انت ولا هو فقالت له ان الراى
الصواب ان ترسل فارسا للسلطان طومان باى
اخبره عما وقع وانه يكون وان شاهرب الى جهه اخرى
واما انت فارجع اليهم وشاغلهم بالكلام الى ان
يطيب الطعام فبينما ياكلوا ابكى ن طومان باى
قد عدى بلاد بعيده او يكون تهيا للحرب فتخلص
انت من الجهتين فوافقها على ذلك وخرج وهو
متردد وكيف يصنع تجاه الشيطان اللعين وقال
له ابن عقلك تقتدي بالنسا النساوصات عقل
ودين وتترك ما يحصل من السلطان سليم من الجاه
والغنى والخير بين العربان بسبب من غدرت به الايام
والليالى

عليها انها خائفه عليه من فعل الخيانه (?)

من غدرها

115

والليالي وقاربت دولته وانقضت مدته وان لم امسكه انا مسكه غيري وفاز بالفخر وليس هذا من الصواب ثم انه اجتمع بابن عمه شكر واخبره بما قالت له امه فقال له وهل عاقل يبيع بما حله بل حاله ولا يميل الى الكفة الناقصة فيحل به الخسران ثم انهم اتفقوا على ان يكونوا مع السلطان سليم واما السلطان طومان باي فانه قال للامرا انى اريد ان اخبركم عما رايت في تلك الليلة رايت ان قايلا يقول لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤك السلام ويقول لك ان دولتكم قد زالت وعمرك قد فرغ وانت جارنا في الجنة بعد اربعة ايام ارجع عن القتال فلا فايده لك فيه وانا قد عزمت على رمي سيفي هذا في البحر المالح وقال لهم كل واحد منكم يذهب الى حيث اراد هذا اخر اجتماعنا في الدنيا والقيامة تجمعنا في الاخره بين يدي احكم الحاكمين

قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ احمد بن زنبل المحلي الرمال

فهم في هذا الكلام الا وقد راوا الخيل اقبلت عليهم من بعيد فقامت الامرا كلهم على ساق وركب الامير شاذ بك وبقية الامرا واتباعهم وحطموا على عدوهم بقلوب كالحديد ولكن العدو كثير وهم طايفه قليله الا انهم فرسان عارفين بركوب الخيل واوليك عارفين فامن ذلك لكن اعتمادهم النار وما فيهم من يعرف الخياله الا خاير بك والغزالي فلما راهم الغزالي حطموا عليهم فقال لهم افتحوا لهم طريق ريحونا من شرهم حيث ان طوماناي ليس هو معهم فصار كل واحد من الامرا يضرب بسيفه ويقتل من تعرض له الى ان وصلوا الى العسكر الرومي من مضيق الغار الى ورا‌ها واما قانصوه العادلي فانه ذهب الى اصبهان من عرب قطان وكان منهم نحو الالفين فارس نازله مع القبايل

التي

١١١

التي جات لحضرة السلطان طومان باي فلما
راوه ترك القتال له وفعل بنفسه هذا الفعال
نزلوه واخذوا اصهرهم ورجعوا وصحبتهم سيدي
يحيي ابن الامير بن ملك واما الامير شادبك الاعور
فانه خرج من الغابه وتبعه اثنين من مماليكه
وكان بينه وبين الامير احمد بن بقر شيخ العرب
صحبة بحيث ان الامير احمد هذا اذا كان جا الى مصر
لاينزل الا في بيت الامير شادبك فيقوم به احسن
قيام ويكرمه احسن اكرام ويلبسه الخلع كالعادة
ويقضي له جميع مصالحه من جانب السلطنه ويقوم
في باحسه على اعدايه حتى ان الناس كانت تقول
لولا الامير شادبك على احمد ابن بقر لاما كان
له حال ويتعجبون من محبته له والقيام له بشانه
ويحسدونه على ذلك غاية الحسد حتى ان الامير
شادبك كان يقول له يا امير احمد طول ما راسي

نعيش لا نحمل هم ابداً او لا نحب حساب احد ولا السلطان
الكبير فان الامير شادبك كان يحب حساب اقرانه
لئلا يسعوا في هلاكه فانه كان فريد عصره في الفروسيه
وركوب الخيل وكان اذا نزل في الميدان عند لعب
الحريد في الاماره لم يعرف احد يعلم عليه وكان
يقول في نفسه انه اذا حصل له مضايقه من السلطان
او من احد من الاعيان يذهب الى صديقه الامير
احمد ابن بقر ويدبر امره فلما كان كذلك من امر
السلطان طومانباي وتركه للقتال وتسليم نفسه
لعدوه وخرج الامير شادبك من القاهره قال
في نفسه مالي اوفق من ان اسير الى صاحبي الامير
احمد ابن بقر وانزل عنده حتى ادبر امري فيما افعل
اما اني اسافر الى بلاد العجم واكون مع سلطانهم
او اسافر الى بلاد اليمن ولله التدبير فيما يريد والمثل
يقول له تحذر من صديقك من صديقك كل يوم

دبا

112

وبالاسرار لا يركن اليه لما من العدو وحادها في
سوى من كان معتمدي عليه فلا زال السائر من بلد
الى بلد والدنيا كلها قايمه على ساق والعربان هلحب
والدنيا ماحب وصار كل مغعول جايز وكل من له
عدو وقصد فيا ان ظفر به قتله والناس مرتابين
من بعضهم من شده ما حصل فلا زال السائر حتى وصل
الى النيل السعيد وعدى منه الى بر الشرقيه
ثم سار الى ان وصل الى الامير احمد ابن بقر اخر
النهار وجده في ميت غمر فرحب به وانزله في بيته
والرمه غايه الاكرام ثم احكى للامير احمد ما وقع
لهم مع عدوهم من الاذاه للاخر فكلهم اجمعوا
ان السلطان طومان باي احطى في هذه الفعله
التي فعلها وتسليم نفسه لعدوه وتحكموا فيه كيف
شاوا وبرى الهوان بعد العز ولو كان قاتل الى ان
يقتل ولا يسلم نفسه فانهم لا يبقون عليه ابدا وتبقى

الاهانه والبهدله فايزه وشماته الاعدا اسخم وانفس
فقال الامير شادبك قد تم الامر وذهبت دولتنا
وما بقي كلام الا التدبير في المسير من هذه البلاد
وقصد ان يرسل ان ياتي بحريمه وولده ويخرج يقصد
بلادا غير هذه البلاد فقال له الامير احمد يا امير
تالت العارفين من تاني نال ما يتمني اصبر حتى
ما يتم لك الامر عليه قال له الامير شادبك اين
عقلك حتى ان السلطان طومان باي سلم نفسه لعدو
هل بقي بعد ذلك شي في غد تاتيك الاخبار بانه
قد صلب علي باب زويله او علقت راسه عليه هذا
ما جري للامير شادبك واما السلطان طومان
طومان باي فانه بقي فريدا وحيدا وقد رمي
جميع عدته وسلاحه ولبسه في البحر المالح حتى ربه
الصفح الفولاد الذي ليس له نظير في الدنيا والقطا
المفرده حتى الطير الجناح الذي لم يسمع الزمان بمثله
فانه

فانه كان صاعقة من الصواعق لا يضرب به على احد
الا قطعه ولا حجرا الا فلقه فكان من تحف الملوك القدما

فعند ذلك حطمت عليه العساكر ومقدمهم اغات الانكشارية

وخاير بك والغزالي وحسن ابن مرعي فاقتضى رايهم
انهم يقبضون عليه حيا ويا توبه الى السلطان سليم يفعل
به ما يختار ثم امر جميع العسكر ان يعمدوا اسيوفهم فانه
قد رمى سلاحه ولا بقى معه احد يقاتل ففعلوا
كما امر ثم حلقوا عليه من كل جانب فصار بينهم كالسبع
الذي وقع في الشرك فعند ذلك نزل اياس اغا
وخاير بك والغزالي وجاوا اليه فقال له اياس
اغا احمل يدك اليمنى على يدك اليسرى يا مولانا
ولا تواخذني في ذلك ففعل وربطوهما من قدام
واوثقوهما فان الاعيان لا يكتفوا الا من قدام
ثم قدموا له بغلة وركبوه عليها وقيدوه من تحت
بطنها واحاطت به الانكشارية وبقية العساكر

وجدوا في التسيركانهم وقعوا بفرسية عظيمة اولقيه
ولو امكنهم ان يطيروا الطاروا فاخذ يتكلم مع
الانكتارية وسالهم عن حالهم وعن قدر جوامكهم
فقالوا الكل واحد منا ستة عشا منه فقال لهم وانتم
جئتم من بلادكم الى هنا لاجل ذلك فقالوا اله نعم
فقال لهم بارك الله فيكم ولهذا اغلب سلطانكم
لطاعتكم له على هذا القدر اليسير والله ان جامكية
احدكم لا تلقى تكون جامكية سايس من سياسنا والله
ثم والله لو تكونوا عسكري لجعلت لكل منكم دينارا
في كل يوم فمالت قلوبهم اليه لما سمعوا منه هذا الكلام
فقالوا لبعضهم ما الراي نطلق هذا الرجل ونكون
اعوانا له وناخذ كل واحد منا دينار في كل يوم
ونصير عنده في اعز ما يكون فمنهم من استصوب ذلك
الكلام ومنهم من قال لا يغرنكم هذا الكلام فانه ما
قال لكم ذلك الا لما راى نفسه وقع في ايديكم

وهل

١١٧

وهل يكون هذا قط ان يصير لكل واحد منا دينار

ووقع منهم الخلف والهرج ومازالوا به سايرين حتي

وصلوا الي وطاق السلطان سليم وقد كانوا ارسلوا

يولانيا ان وقت قبضهم عليه يبشروا السلطان سليم

بانهم مسكوه سالما باليد واعلموه كيف كان قبضهم عليه

عليه وان شيخ العرب حسن بن مرعي هو الذي كان

السبب في ذلك لانه ما دلهم علي موضعه الا هو وانه

حسن له عبارة في دخوله في هذا الوادي وحبسه

منه وانه يستحق كل خير فلولاه ما عرفنا له موضع

وذكروا للسلطان جميع ما وقع وانهم قادمين به

في القيد والبند بعد ان كان رما سلاحه في البحر

المالح وسلم نفسه بالامان وقد تشتت جميع عسكره

ومسكناه وهو واقف علي تل عالي بمفرده ففرح

السلطان سليم بذلك وقال الان ملكت مصر

وما علم انه بقي من عمره ثلاث سنوات بعد ان رجع

الى بلاده ضربه الله بفرخ جمر يعذب به الملوق المذكوره
قال بنايم النهار الاد وتراقبت العساكر ولها صحيح
فقام وطاف السلطان علي ساق حتي ان السلطان
ارتاب من ذلك وظن ان العدو تدهجم عليه وطايفه
فقالوا له البشاره هذا اياس اغا والغزالي وخاير بك
قد جاوا بغير عيك فلما وصلوا الي خيمه السلطان خرج
لهم الوزير الاعظم وامرهم ان ينزلوا السلطان
طومان باي وحلوا اكتافه ويفكوا ايديه وتبادروا
في حقه ففعلوا ما امر واحاطوا به من كل جانب وهم
شاهرين السلاح ثم دخل اياس اغا وخير بك
والغزالي على السلطان سليم واخبروه بالواقعه
من اولها الى آخرها وليس في الاعاده افاده
فلما اصبح الله بالصباح امر السلطان بعمل ديوان
واظهر ما عنده من التحف ورتبوا احسن ترتيب
واحضر جميع العساكر ووقفوا ميمنه وميسره ووقفت
الاملنا

الانكشارية صفوفا على احسن ترتيب ثم امر باحضار
السلطان طومان باي دحسن بن مرعي فلما دخلوا
به على السلطان سليم سلم عليه بسلام الملوك فرد
عليه السلطان سليم السلام ولم ينقص من مقامه
شيا ثم امره بالجلوس فجلس وهو في غاية الندم على
ما فعل وقال اني كنت طيرا طايرا وكانت الارض
واسعة ادهى الى حيث اريد واختار واسلمت روحي لعدو
سيدي بيسما كانت فعله وحيلهم والموت والذله
كل ذلك خطر في نفسه وهو جالس لا يتكلم ولا احد
يتكلم ولا يرفع راسه فنظره السلطان وتامله
بعين الفراسه فوجد كل شي فيه يشهد له بالشجاعه
والفروسيه وكمال العقل شاهد له فتعجب السلطان
السلطان سليم كيف سلم نفسه بغير حرب ولا قتال
ولم يكن فيه شي يشهد له بانه جبان ابدا بل انه
اذا راه من لا يعرفه يشهد له بانه شجاع ثم ان السلطان

قال في نفسه انما هذا امر سماوي اصابه وطالع
نحس غريب غير صواب حتى ارمى سلاحه وسلم نفسه
مع انه قاتل قتال الجبابره والا وهو كانت الدنيا
واسعه بين يديه انما شاذهب وحيث طلب هروب
ثم التفت وقال له يا طومان باي كم نهينا ك عن
القتال وعن سفك دما المسلمين اولها اني ارسلت
اليك من الشام ان تجعل السكه والخطبه باسمي وانت
مقيم على ملك مصر وانا ظهرك ومعينك على سائر
ملوك الارض فابيت ذلك وقتلت رسلي والرسول
لا يقتل فبذلت بعساكري لقتالك وهزمناك الى
الصعيد وارسلت اليك الصعيد رسلا وهم
قضاة بلدكم فلا تقبل الصلح وقتلت القضاة وعذبت
وتعذيبهم شيم الملوك الكرام تقتل الرسل اولا وثانيا ثم
عاتبه عتابا كثيرا فقال له السلطان طومان باي
والله انه لم يكن شيا من امري ولا بخاطري ابدا

واني

116

واني والله لما ارسلت الي من الشام الكرمت الرسل
وامرت بنزولهم في دار الضيافه وفي نيتي ان افعل
ما به جاوارد الجواب كما امرتني فلاقاهم الامير علان
ثابرين الي بيت الضيافه فقتلهم فلما بلغني ذلك
عسر علي ولذلك الرسل الذي ارسلتهم جرالي في جعتهم
كما جرى في حق غيرهم من غير رضاي وكل هذا ليس
بأمري ولا بأرادتي وانما اجرت به المقادير من
الرب القدير حتي تجري الامور علي ما كتب من قديم
الازل بان دولتنا زالت وأدبرت ودولتكم جات
واقبلت وهذا شي كتبه الله في القدم وجرى به
القلم ودارت به الأفلاك وسارت به الكواكب
ولما اراد الله فلا مرد له ولا تعليل لله غالب تبارك
الله رب الأفلاك والكواكب ولولا ذلك ما قدرت
انت ولا اخلافك على أخذ بلادنا فانه لو كان ذلك
بالقوه والشجاعه ما كنت اقوى منا ولا اشجع وهلت

رايت بعينك كيف فعلت وكيف قاتلت عسكرك
وكيف كسرتهم كذا الكذا امره ولم يبق واحد منهم يرى
لا بسيف ولا بعود وامّا قولك انك كنت تريد ان
السكه والخطبه باسمك وانت راس الملوك فانا
والله ما احدٍ ن برغبة مني وانما عسكري وقوي
اختاروني ان اكون انا السلطان عليهم لما علموا
زهدي في ذلك فلما ان تقلدت ذلك وجب علي
ان ادافع عنهم وامّا انت فاغاية املك في حفظ نسلك
لئلا لا ولكن وانتم مسلمين فكيف تستحل قتل المسلمين
وترى عليهم هذه المدافع والنيران كيف بك اذا
وقفت بين يدي رب العالمين فما جوابك وكل
ذلك وان تعاظم ملكه فهو عبد اصغر فما انا وانت
الامن جملة العبيد فتعجب السلطان سليم من فصاحته
وبلاغته وحسن معرفته ثم قال له اللهم اني
ما تحفظ نفسي كما قلت فانت وقومك فما قتلت

من عسكري

١٢٦

من عسكري كل مسلم وابن مسلم الوق مولعه فما
جوابك عند الله قال له مرعا الله سبحانه وتعالى
اجاز لي بذلك حيث قال فمن اعتدى الايه وانتم
اعتديتوا علينا اللهم ان الغوري وقع بينك وبينه
التنافس ودخل الشيطان بينكم ودمتا الاعادي بينكم
وختم الله بالسعاده وتتفق انت واياه بين يدي
رب العالمين واحكم واما انا فليس بيني وبينك
عداوه ولا احدا من عسكرك ولا غيرهم قال له السلطان
سليم والله ما كان قصدي اذيتك ونويت الرجوع
من حلب ولو اطعتني من الاول وجعلت السكه والخطبه
باسمي لاجبتك ولادستة ارضك فقال له الاتقى الذي
ربيت في العز لا تقبل الذل هل لو ارسلت لك انا
وامرتك ان تكون تحت امري كنت ترضى بذلك لا
انت افرس مني ولا اشجع ولكن يا امير عليك الاهون
الشياطين خيرتك والغزالي قال لو كان فيها اخير

كان لنا فقال السلطان للحاضرين والله ان مثل
هذا لا يقتل ولكن احذوه في الترسيم حتي تنظر في
امره فاخذه اياس اغا وذهب به الى خيمته واخذ
السلطان يتكلم مع الحاضرين في شانه واذا بالبشا ره
قد جات من عند الامير احمد ابن بقر انه قبض على
الامير شاذبك الاعور وانه ياخذه فاز دا د
فرح السلطان بذلك وقال من يذهب وياتي به
فقال الغزالي على ذلك فقال له انت مضو فقام
الغزالي واخذ معه مائة انسان تقاوه العسكر
فاتم النهار الا وهم في منية عمر فوجدوا الامير
احمد ابن بقر واقف في الانتظار فلما اجتمع
به تنبري سلم عليه وقال له انزل الى الضيافه
فقال له اسرع لي بشاذبك الاعور وسرح معنا
الى السلطان ليكافيك ولا تخبرني كيف مسكته
الا وكن سائرين فعند ذلك احضره وهو مقيد
مرنند

118

ووقع نصر علي قنبردي الغزالي واحمد ابن بقر فقال لهم
الله يخون الخاين فلم يردوا له جوابا وركبوه على بغل
وشدوه من تحت بطنه وطاردوا به كما يطير الغراب
اذا اخذ البيضه فكانه بيضه وهما الاعزبه قال
الراوي ثم اخذ احمد يحكي لقنبردي كيف قبض عليه
فان الامير شاذبك لما خرج من الغابه بعد ان ابى
من السلطان طومان باي وقصد صديقه وحبيبه
الامير احمد ابن بقر فلما وصل اليه اكرمه وزاد في
اكرامه وقال له لا تخف ولا تحزن حيث ما وصلت الي
واحكي له الامير شاذبك ولكن سلم نفسه لعدوه ورمي
سلاحه وكان ذلك سببا لانقضا الدوله ثم دخل
الليل فنام الامير شاذبك ليأخذ لنفسه الراحه
وكان له مده ايام وليالي ما نام ولا طرق عينه
النوم فنام واطمان على نفسه فقال الامير احمد
ابن بقر لاصحابه خطر عندي شي اذ لو لكم قالوا وما

هو

قال ان هولا القوم دولتهم لنهم قد زالت واني
اريد افعل كما فعل حسن بن محمد علي واجعل لي يد عند
السلطان سليم واخذ الشكر علي غيري فقال له والله
هو صواب فقمت من ساعتي ودخلت عليه وهو نايم
ومعي نحو العشرين نفس وضربته بنبوت لعد ان نبهته
بسرعه فلما رفع راسه وهو مدهش ضربته في راسه
بطحته وامرت بقية الحاضرين فوقعوا عليه وكتفوه
وقيدته وازندته وارسلت لكم علي الفور واعلمتكم
بذلك فشكره الغزالي وقال الان اشتفي قلبي من هذا
الاعور الخبيث ولا زالوا سحبين حتي اوقفوه بين يدي
السلطان سليم فتامله ونظره من اكمل الرجال
وهيبته ظاهره وشجاعته وبراعته لايحه ذو
شكاله ووقار وضخامه وحشمه فاراد السلطان
ان يختبره في كلامه حتي ينظر عقله فقال له السلطان
يا تاذبك كيف رايت الدنيا قال كلاشي فقال له

حيث

119

حيث هي كلا شي كيف تحاربنا وتقاتل فيها فقال اما قاتلت
ولا نافست احدا وانما قاتلت عن مالي وعرضي وكتاب
الله وسنة رسوله اجازلي في ذلك حيث قال فمن اعتدى
عليكم الايه وقوله تعالي اذن للذين يقاتلون الاية
وقال رسول الله من قتل دون ماله وعياله كان شهيدا
فنحن ما قتلنا كم الا باذن من الله ورسوله وانت
باي دليل استحليت دمانا واموالنا فقال له
السلطان سليم قد استفتينا عليكم اولا وثانيا فاجاز
ذولي العلما في ذلك انكم تقتلون ملوككم وتاخذون
الاموال بالسيف ولا تقفوا علي الحدود الشرعيه
قال له شادبك اما قتلنا الملوك فهو كلام باطل
فقد قام السلطان المرحوم ~~الغوري~~ قيتباي نحو الثلاثين
عام ملك مصر الي ان مات رحمه الله تعالي واما
ابنه محمد فقد تعدي الحدود الشرعيه ولم يتوقف
علي حد الشرع ولهذا قتلناه واما الذين تولوا

بعده فلم نوفيهم قابلية الملك فلهذا افنناهم ومنهم من
حبسناه اتقا اثره ولقد اخترنا المرحوم قانصوه الغوري
وجعلناه سلطانا فاقام الي ان نخرج اليك لامر اراده
الله في الازل الى ان ختم الله له بالايمان وحضره منيات
الموت ولا تخف بانني من الموت فقد قال تعالى انك
ميت وانهم ميتون الى اخر الاية يوم يجزي المحسنين
باحسانه ويقابل المعتدي بسطوته وانتقامه ولا
عدوان الا علي الظالمين وسوف ينتقم الله من
اساء وسلام الله ورحمته علي المتقين فلما سمع منه
السلطان هذا الكلام وهذه المبالغات اللتي
الذي هو اشد من ضرب الحسام لانه كلام محق بادلا
قاطعة وبراهين ساطعة وايات من الكتاب والسنة
لا يمكن فيها الطاعن ولا المدافع ابدا فاشار لهم بيده
ناخرجوه في الترسيم ففعلوه قال صاحب الحديث أن
السلطان سليم في اليوم الذي خابوا فيه السلطان

طوما

120

طومان باي امر في جميع مصر ان تنادي بالزينه فزينوا
الناس جميع مصر والقاهره وجميع البيوت والدكاكين
وامعنوا في ذلك واشيع في مصر وفي اقاليمها ان السلطان
طومان باي مسكوه بموالسه حسن بن مرعي وصاروا الناس
منهم من يصدق ومنهم من يكذب فلما كان في ليلة
الاحد والعشرين من شهر ربيع الاول سنة تاريخه وكان
السلطان طومان باي صلا صلاه العشا وحلس وهو
كثير الفكر زايد الضجر سابع العبرات فاخذته سنه
من النوم وهو جالس فاذا هو بشخص واقف قدامه
وقال له يا طومان باي تقدم هنك للرحيل مضي
الكثير والقليل وجا الوقت المعلوم فانتبه من
نومك فقد وصل بي اوانك من اهلك وقومك فانتبه
وهو عامر عوبا وتعوذ من الشيطان وقرا شا من القران
ونزل عليه شي من النوم ثقيل فانضجع كانه ميتا وقيل
فلم يري في عمره اثقل من تلك الساعه والسبب في ذلك
قال

ان الروح تعلم بفراق البدن فتودعه بطيب الوسن
ثم افاق بعد ذلك فوجد نفسه كانه صب عليه الماء من
كثر العرق وهو الحاكي عن نفسه بذلك للقاضي اصيل
الطويل فانه لم ياته احد من اهل مصر غيره ولا اوصاه
بان يغسله ويكفنه بيده وقد فعل ذلك كما اوصاه قال
الناقل ومازال السلطان طومانباي على سيرته الي
الصباح فلما تباينت الوجوه واذا بالجوا وشيه وقد جاوا
اليه وقالوا له قم كلم السلطان يطلبك فقام معهم
وساروا به الى ان قرب من خيمة السلطان سليم
اوقفوه واذا بقا الى اغا قد خرج من عند السلطان
وقال قد برز امر الحنكار ان يبيروا به الى باب زويله
ويصلبوه عليها وجاوا اليه ببغله وركبوه عليها
وقيدوه من تحت بطنها وداروا من حوله الانكشاريه
والعساكر من ساير الطوايف وخرجوا من انبابه
ونزلوا في المراكب وعدوا به الي بولاق ودخلوا
به

121

به من باب القنطره الي مرجوش الي بين القصرين وقد
انقلبت الدنيا بالضجيج والبكا والصياح وكان الواحد
من عسكر الروم يجي الي الرجل من اهل مصر ويقول له هذا
السلطان طومان باي ام غيره فيقول بل هو وكان ذلك
اليوم علي اهل مصر من اشام الايام بكت فيه الارامل
والايتام والخاص والعام قال الراوي فلما وصلوا
به الي باب زويله وجدوا الحبل مرخي فاسرعوا به ونزلوه
من علي البغله وصلبوه من غير مهله ثم بعد ثلاث ايام انزلوه ورد
به من نعش الي قبة السلطان الغوري فغسله القاضي اصيل
الدين وكفنه في ثياب ارسلها له السلطان سليم من
خاص الموصلي الرفيع ثم صلي عليه القاضي اصيل ايضا
كما اوصاه ودفنوه في فسقيه بالقبة المذكوره وارسل
السلطان سليم ثلاثة اكياس من الفضة فرقوها عليه
قال المورخ ذكر سيدي علي ابن الامير اخور انه حضر السلطان
طومان باي ثم ان الذي فرق الاكياس علي الناس اعطاني

ثلاث حفنات فضه واعطا القاضي اصيل مثل ذلك
وفرق الباقي على الناس من غير عدد بالنصيب قال
ثم ان السلطان سليم في الساعة التى امر فيها بصلب
السلطان طومان باي احضر الامير شادبك الاعور
وامر بضرب عنقه وجابت عيا له وغلامه الحاج رين فارين
واستاذنوا في احذه فاذن لهم فاخذوه وجاوا به الى
المدرسه السكريه وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه
في مسجد من داخل الحوخه التي عند الفرن بالقرب
من المدرسه المذكوره وكان هذا اخر مذ الحراسه
وهو الواحد والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث
وعشرين وتسعمايه قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ
احمد بن زنبل المحلي الرمال ان الذي وصل الي علي
من لفظ سيدي محمد بن السلطان الغوري ان السلطان
سليم ما كان في نيته قتل السلطان طومانباي وانما
السبب في ذلك خير بك نايب حلب وقانبردي الغزالي

فانهم

122

فانهم لما راوا السلطان سليم لم يسهل عليه قتله وصرح
لهم في المجلس العام بان مثل هذا لا يقتل لما راى كلامه
كله سدد وهو حق وصدق وثبت عنده صدقه
وظهر له حاله وراى من شجاعته ما يفوق الوصف
ما سهل عليه قتله وكان مراده ان ياخذه معه الى
بلاد الروم ويبقيه عنده وحيره بعد ان يستحلفه
الايمان المغلظه وثبت عنده دينه وصلاحه وكان
رحمه الله محبوبا لكل من يراه فلا يراه قريب ولا غريب
الا حبه ويشهد له بالصلاح فخشي خيربك على نفسه
وكذلك قنبردي ان السلطان سليم ان اخذه معه
وصار بينه وبينه اتحاد لا يبقي عليهما فاخذا يدبرا
في الحيله ويحسنا للسلطان سليم قتله وانه متى
ابقي عليه لا يقام له راس ابدا فربما يفسد عليه عسكره
فانه رجل شجاع وكريم الى الغايه والدنيا لا تتم
لها عنده وخصوصا للاكراد والعساكر فقد ذلك

اقتضي راى خايربك والغزالي ان يكتبوا للسلطان ورقه
ويرسلوها اله من غير ان يشعر بها احد من الوزرا ولا من
غيرهم ومن جملة ما كتب فليعلم مولانا الخنكار
ان اهل مصر والاجناد التي تشتت من الجراكسه لم
يصدقوا ان سلطانهم سلم نفسه وقبض عليه وكذلك
اهل الاقليم والعربان وكذلك العربان انت تعلم انك
متي ابقيته عليه فقد ضيعت تعبك وسفرك وهلاك
عسكرك واموالك فانه مجرد ما انا فر من هذه البلاد
لو كان تحت الارض من خرج منها وافسد عليك عسكرك
بالعطا وتندم حيث لا ينفعك الندم فان اردت
ان تطيعك الممالك والبلاد وتحتوي علي ساير
الاجناد من غير ممانع منها ولا مدافع يدفعك عنها
فعجل بهلاكه وارسل اصلبه علي باب زويله ليراه الخاص
والعام ويشاع ذلك في ساير البلاد وترتوق
الدنيا وتملك هذا الاقليم العظيم الذي ليس له نظير
في

193

في تجنا التما الدنيا ولقد قال بعض الحكما عدوك
لا تصافيه وحبيبك لا تجافيه وقال الحزين الحبيب
العواقب ما الدهر له بصاحب فعند ذلك امر
بصلبه ودبي عنق شاذبك كما تقدم من صفة السلطان
طومان باي ومدة سلطنته وما كان فيه من الخصا ل
الحميده وعمره وساير احواله فكان رحمه الله على
ما حكاه سيدي محمد بن السلطان الغوري والقاضي
اصيل الطويل والامير زمك الناشف وغيرهم
من راه وعاشره وعارفه ظاهرا او باطنا فاتفق
الجميع انه كان مقداما ماخيرا خبيرا بمواقع الطعن والضرب
والدخول في الميدان والخروج منه لا يرهب الابطال
ولا يخطر له الموت على بال وقد ذكرنا ذلك في
حروبه ووقايعه وكان متوسط الطول ذهبي
اللون واسع الجبين اسود العينين والحاجبين
والمحيه وكان دينا صالحا خيرا فاصلا ملازم

الصلوات

كثير الصدقات دايم الصمت زايد الادب في السلوك
والخضوع والخشوع هادي الطبيعه كثير الاطراف
ملازما لزياره المشايخ الاحيا منهم والاموات حتى
انه لما غسله الغاسل وقلعوا ما عليه من الثياب
وجدوا على بدنه جبة حمرا واوصى انه يدفنوه بها
ولم يظهر عنه شاني مده حياته مما يفعله اهل التجبر
من اللباس والعنف وكان الغالب عليه السكينه والوقار
وكان الغالب على نفسه رزين في احواله من الكلمه
ذو احصا وكثره رحمه وشفقته على كل احد حتى
انه لما ظهرت منه هذه الشجاعه والفروسيه في
قتال السلطان سليم صاره الناس من اهل مصر
وغيرهم يتعجبون منه غاية العجب ولا كان احد يظن
ان هذا هذه الصفه وكان الذي عمر ما راه
يظن انه عبد صالح فان الصلاح والخير يظاهر
عليه وقد تقدم في هذا التاريخ ان السلطان سليم

١٢٤

ما هان عليه ان يقتل وقال والله لو اطاعني على
مرادي ما كنت دخلت له ارضا ولا بلادا ولكن لكل
شي اوقه حسبه حتى جرى القضا والقدر والعقل من
قتل وسلم من سلم والغنيمه بجمع وكانت زوجته خوند
بنت دوادار كبير وتزوجت بعده برجل يقال له
ابن الشيخ ابراهيم الكاشي وبقيت معه الى ان ماتت
ولم يخلف السلطان طومان باي بعده اولاد ذكور
ولا اناثا واكثرت فيه الشعرا من المديح والقصايد
ومضى كانه لم يكن وكان القاضي اصيل الطويل
دايما يحكي عن السلطان طومان باي هذه حكايات
غريبه وامور عجيبه يشهد له بانه من عباد الله الصالحين

قال الناقل لهذا التاريخ وهو الشيخ احمد ابن زنبل

كان القاضي اصيل الدين طويل القامه عريض الجثه
كثير اللحيه عريض الحاجبين غزير شعرها وكان فصيح
اللسان صاحب فصاحه وبلاغه وبطش وقوة قلب

وشان خصيان واقدام في الامور مات رحمه الله تعالى
في سنه سبعين وتسعمايه رحمه الله تعالى عليهم اجمعين
وعلى ساير اموات المسلمين قال الراوي لهذا الكتاب وهو
وقد قدمنا في هذا التاريخ ان السلطان طومان باي
تسلطن في يوم الاحد الخامس عشر من شهر رمضان سنه
اثنين وعشرين وتسعمايه وانقطع اسمه من الخطبة على
منابر مصر في اول سنه ثلاثه وعشرين وكان من حين
ضربت له السكة والخطبة الى زوالها ثلاث شهر ونصفا
ومن اول سلطنته الى وفاته سته اشهر وخمسه ايام
قال المورخ وفي الساعة التي امر السلطان سليم فيها
بصلب السلطان طومان باي وقتل الامير شادبك احضر
فيها شيخ العرب حسن بن مرعي وابن عمه شكر وشيخ
العرب احمد ابن بقر وخلع عليهم خلع من خلع الملوك عظام
واعطا كل واحد ولايه بلاده اقطاعا الى ان عين
لا يحمل منها الى ديوان السلطان ولا درهم فاذا اموالي
فقد

125

قيد الحياه. وارسلهم الى بلادهم بعد ان احسن اليهم احسانا
جزيلا ثم امر السلطان ايضا بتولية الكشاف فولي
الامير جانم البهنسا والفيوم وجانم هذا من الجراكسه
الذي كان مع الجراكسه وانكسر من الصعيد وقد
تقدم ذكره ثم ان السلطان ولي ابو حمزه رفيق جانم
على المحله واقليم الغربيه ثم عزله عن المحله واعطاه
الجيزه وارسل الى المحله امير صبحي ثم احضر قضاة
القضاة الاربع الذين كانوا على ايام السلطان طومان
باي وولاهم على ما كانوا عليه في مناصبهم وامر ان
يكتب في الدواوين لجميع الحكام بعدم المعارضه
لاصحاب الاقطاعات والارزاق والاوقاف والحوالا مع
واولاد الامرا الذين تخلفوا بعدهم وكل من كان بيده
شي من الارزاق هو باقي عليه وعليه لعنة الله ثلاث مراة
على من غير ذلك في ذلك ففرح الناس بذلك غاية
الفرح ثم ان السلطان قال للامير خير بك اريد اعلم

قدر مال مصر وما يجمع منه في كل عام قال يا مولانا
السلطان القاضي ابو بكر ابن الجيعان يعرف هذا فامر
باحضاره فلما احضر قال له خبرني مولانا السلطان
ان تخبره بما يتحصل من مال مصر في كل سنة علي وجه الاختصار
فقال في غدا ان شا الله اتيه بالخبر ثم انصرف ورفع
الدفاتر الذي جا بها في ثاني يوم وقد كتب خراج
مصر علي طرفه فتعجب السلطان من ذلك فقال له السلطان
احسنت هذا القول ما قل ودل ثم ان السلطان امر
بالرحيل من بر انبابه وجا الي المقياس ونزل فيه وبعد
الامير علي بن عمر شيخ الهواره فخلع عليه بامرية الصعيد
بمدينة جرجه وخلع علي علم الدين شيخ بني عدي وكتب
لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا قال صاحب الحديث
ومن عزيب ما جري ان الامير قادصوه الغادلي لما
سمع بشنق السلطان طومان باي وقتل الامير شادبك
كان عليه يوم اليم الايام وهجر الطعام والمنام ثم انه
حزن

يزيد

حرت في نفسه بان يتحيل علي قتل السلطان سليم فسهر
ذات ليلة فيما يدبر وكيف يفعل فدبر في نفسه ان يلبس مثل
العرب وياخذ معه جماعة من اهل القوة وينزل في
مركب ليلا ويسير بها الى تحت المقياس ويجعل له سلم
شاليق ويصعد فيه وينزل الى داخل المقياس ويقتل
السلطان سليم وياخذ ثار قومه وما علم ان الحق
ناله قاتل ثم انه فعل ذلك حتى وصل الى الطارة
التي فوق المقياس من محل السلطان فوجد الحرس
مستيقظين وسمع حديثهم فكمن في محل وقال في نفسه
اصبر لهم الى ان يناموا فلما سكت حسهم ظن انهم ناموا
وكانوا يتناوبون الحرس بالساعات فقام ومشى الى ان
قرب اليهم فقطنوا له وراوه بالهيئة فقاموا يتصايحوا
بالسيوف مسرعين في طلبه فرجع هاربا الى الموضع الذي
طلع منه وفيه السلم الشاليق فادركوه قبل ان يصل
اليه فما ساعه الا ان رمى نفسه من فوق الشرايف

الى البحر وارخى فى السيار وتبعه جماعته بالقارب فحصلوه
وهو عايم فاطلعوه واخذ دوابه ولم يبلغ مقصوده
واما السلطان سليم فانه قام مرعوبا منزعجا لما
سمع الصيحه وطل من اعلا القصر ونظره وهو عايم
في الما فامرهم عليه بالرمي بالبندق فلم يصيبه شي
من ذلك الى ان وصل الى ساحل بولاق فاختفى
عند شخص من اصحابه يسمي المعلم محمد البولاقى وبقي
متقهرا الذي لم يبلغ مقصوده والعدره تقول له ان
الذي بقي من عمره ثلاث سنوات فانه ما خرج من مصر
الا مضروبا بفرخ جمر فى ظهره تعذب به المذ المذكور
الى ان مات بالقسطنطينيه في سنه ست وعشرين وتسعمايه
ودفن بها ومن الغرايب انه مدفنه لم يقصد اليه احد
ولا يزوره احدا الا في النادر ومدفنه مظلم الاسي
عليه ولا نور انيه مطلقا لانه كان سفاكا للدما
لا يتوقف في قتل احد واما تربه والده المرحوم السلطان

١٩٦

ابا يزيد نايرة عامرة اهله بالناس لا ينقطعون عنه
الا ان كان بعد صلاة العشا فانه كان عبد صالح
لا يشك عنه احد في ولايته وكان بينه وبين السلطان
قايتباي موده عظيمة ويهادون بعضهم في كل عام
ويراسلون بعضهم بالسلام ويطلبون الدعا من بعضهم
الى ان توفاهم الله تعالى وتغمدهم برحمته واعجب
من ذلك ان خيربك ملك الامرا بمصر لما ان قامه
السلطان سليم علي ملك مصر الى ان يموت ثم امر بعمل
تربة لنفسه وجعلها في باب الوزير علي طريق القلعه
يمر عليها الباشات والصناجق والاغاوات اعدد
ذهابهم وايابهم فلم يلتفت اليه منهم احد ولم يترحم
عليه ولا يقرا له منهم احد فاتحة مع انها تربة مليحة
المنظر ومع ذلك صد الله عنه قلوب الخلق لانه كان
سبب هلاك الوف مولفه من الجراكسه والاروام والعرب
وغيرهم وقتل عساكرها فوجدوا الله رحمته عنه لوه

وكان بعض الناس اذا مر على تربة السلطان ... يقف عنده ... الذي انصف ... على ... والناس ... [illegible]

١

بفرس فسبحان من يفصل بين هؤلاء يوم القيمة فيما كانو
فيه يختلفون قال الناقل ثم ان السلطان سليم اشتهى خاطره
ان يذهب الى الاسكندريه ويتفرج عليها ويحيط بها
علما ثم خرج في خمسمائة نفس من اخصايه وانحدر في
البحر ورى مدينة فوه ورشيد وغيرهم من البلاد
وراى تلك الارزاق وتلك الخيرات التي كانت في ايام
الجراكسه فتعجب من ذلك وقال ان هذا اقليم لا نظير له
في كثرة الارزاق والخيرات ثم انحدر الى رشيد احاط
بها علما ثم طلع من البر الى الاسكندريه واقام بها
ثلاثة ايام احاط بها علما ثم رجع ونزل في المقياس
وبقي في كل ليله ينزل الى الذهبيه التي عمرها السلطان
قانصو الغوري وكانت كلها منقوشه بما الذهب
كالاسقف المعرقه التي في الغوريه وكانت لها بهجه
عظيمه وكان الحاج عبد القادر ابن الاعرج هو الريس
الذي يمسك الدفه ويقلع ويحدر فاتفق انه في بعض

الليالي

اللیالی لما اراد السلطان الطلوع من الذهبیة للمقیاس
فلما قاربت الذهبیة سلالم المقیاس همز السلطان ان
یطلع فلم تصل رجلیه الی درج المقیاس لیفطی بین الدرج
والذهبیة وکان الحاج عبد القادر بن الاعرج واقف
نا ذا به لیطلعه فلما راه اهوی الی البحر وکان یتلاحق مما
حصل الا عنقه فمسکه من تحت لحیته وجذبه من البحر الی الذهبیة
الما فساعده عمر السلطان فاطلعه الی المرکب وقد غاب
صوابه وایقن بالغرق فلما ردت الیه الروح قال له
تمنّ علی یا عبد القادر قال تمنیت علیک ان اکون معرف
البحرین فکتبها له السلطان بیاکلها الی الممات من غیر
ان یحمل منه شیا الی الدیوان وان یکون مسموع الکلام
مقام الحرمه الی ان یموت واعطاه عطایا الملوک
فانه کان حیاته علی یدیه فلما اصبح السلطان امر
بالترحیل واتر له الغدا خیر یک فی بیت کرتبیه الذی
کان علی برکة الفیل فانه لیس له نظیر فی حسن بنایته

ومنظره فاقام به ايامًا ثم امر بالرحيل الى القسطنطينيه
وكان من امرا الصنجق اميرًا اسكنه في قناطر السباع فهجم عليه
طايفة من الانكشاريه فقتلوه فوصل الخبر الى السلطان
فامر بالقبض عليهم وقتلهم عن اخرهم وكانوا نحو العشرين
رجلًا ثم ان السلطان قبل الرحيل خلع علي خاير بك
بنيابة مصر وابقى عنده خمسة الاف انكشاري ما عدا
العسكر الخياله وقال له هذه المملكه اقطاعك الى ان اعود
وكذلك فعل بقنبردي الغزالي اعطاه الشام اقطاعًا
الى ان اعود ثم ان السلطان امر خير بك بانه كل من جاه
من الجراكسه الهاربين وطلب منه الامان يقبله ويبقيه
علي منصبه ووصاه واكد عليه في ضبط البلاد
والانصاف في العباد ثم انصرف السلطان وامر بالسفر
فلما سمعت الجراكسه بذلك اطمانت قلوبهم الامير زردكاش
النايب والامير بردبك وسيدي علي ابن سودون الدوادار
داري وغيرهم ممن كان مختفيا وطلبوا الامان من خير بك

فامنهم

١٢٩

فامنهم واستقل خيربك على ملك مصر تصرف فيه تصرف الملوك
واما سيدي محمد بن الغوري فانه اخذه معه السلطان
سليم الي بلاد الروم وكذلك الامير قانصوا العادلي
فان السلطان لما ان جاه قانصوا العادلي في المساكن
وجري ما جري واراد قتل السلطان كما تقدم فارسل
خلف خيربك وقال له لابد ان تاتيني بخبر هذا الرجل
الذي خاطر بنفسه وجاني في هذا الليل ليقتلني فاستقصي
خيربك الخبر فقيل له هذا الامير قانصوه العادلي فلما
اخبر السلطان به قال له لابد ان تاتيني به فقال له
يبرز امرك له بالامان فلعل ان يطيع ويدخل من تحت
يديه فقال له السلطان اعيا نا تغلظة انه ان فالله بالامان
فعليه امان الله ورسوله والخاين يخونه الله فارسل
خيربك من استعطف خاطره وقال له السلطان قد ندم
علي ما فعل في قتل الامرا وما كان قصده شي من ذلك
وانما عنادهم اوجب ذلك فانهم لو اطاعوه في الاول

بالسكة والخطبة كان كف عنهم وابقاهم ولكن جري القلم
بما حكم وما بقي لاتو ولاحر والاحسن ان تقابل السلطان
لاجل ما نا من علي بالك وعيالك ثم ضمن له خيربك انه
لا يصير شي ابدا وتكلم معه كلاما كثيرا فلما طلع النهار وكب
خايربك وقانصوه الي ان قابل به السلطان فلما نظر
اليه السلطان تامله وقال له انت قانصوه قال نعم قال
له انت الذي جيتني لتقتلني في العباس قال نعم قال
لي صوف كيف صنعت فوصف له جميع ما فعل فقال له لاي
شي فعلت ذلك فقال له اما تدري ما فعلت انت سلطاننا
وعساكرنا ويمن اطفا النار هتك حريمنا واخذت
اموالنا ونحن مسلمين مثلك فقال له يا قانصوه هذا
ما كان في خاطري من الاول ولا كان في قصدي
شي من ذلك وانما وجب هذا العناد الغوري ثم قال
له كما تقدم في شاذبك رحمه الله تعالى من غير تطويل
فقال له وقد تم الامر وقد عطف الله قلبي عليك وقد
ابقيتك

130

انقبيتك على مالك فعيالك فقبل قانصوه الارض واعتذر
اليه ما جا في تلك الليله الا من القهر من ان السلطان
خيره في ان المقيم في مصر معززا مكروما او يذهب معه
الى بلاد الروم فاختار الذهاب محبة في سيدي محمد بن
الغوري فاخذه السلطان سليم معه وامر عساكره بالكرامه
وكان السلطان يا مر بان يلعب بين يديه بالرمح والسيف
انذاب ليعجبه منه ذلك فقال العسكر انظروا اهل فيكم شي يعرف
هذا فقامت نفس يونس باشا الذي هو الوزير الاعظم
ثم اغلظ على السلطان في الكلام وقال له من بعض قوله
ما الذي فعلته واخذت البلاد من الجراكسه ثم اعطيتها
لهم ثانيا ذ عاديتهم ثم صافيتهم فما هذا الراي فلو عرفنا
ذلك ما جينا معك ولا اطعناك في شي من ذلك فقامت
نفس السلطان من هذا الكلام فامر بضرب عنقه في الوقت
وقتل غالب اخصاوه تبعا له ثم هرب من يونس باشا و بعض
جماعته فما شاعهم الى مصر فقبض عليهم خايربك وارسلهم للسلطان

فامر بقتل الجميع فلما وصل الى دمشق الشام خلع على الغزالي
واعطاها له اقطاعًا الى ان يموت لا يوخذ لا يوخذ منه
ولا درهم الفرد فلما وصل الى القسطنطينيه امر بالزينه
فامضت اهل بلاد الروم في ذلك فاقام لها الى سته
سته وعشرين وكان مده ولايته في السلطنه ثمانيه سنين
وثمانيه اشهر وسبعة ايام وكان مده ما عاشه من العمر
بعد اخذ مصر ثلاث سنين وسبعة اشهر وسته ايام
ونزل الملك الى ولده الملك سليمان وكان من الملوك
العادله رحمه الله ومكث في الملك نحو الثمانيه وا
ربعين سنه وشهور لا تحصل وكان ملكا حليما كريمًا
فاضلا ذو هيبة ووقار فلما بلغ قنبردي الغزالي موت
السلطان سليم وقد تولى ابنه السلطان سليمان وهو
شاب صغير طمعت نفس الغزالي الخبيثه في ان ينبلطن
بالشام ويعيد الملك الى الجراكسه كما كان في الاول
ويكون هو سلطانا وتعلق امانه بالمحال فاخبر
احضاه

191

احضاوه عما في نفسه فقالوا له ليس انا قدرة على ذلك
ونحن فيه قليلة ولكن ارسل الى صاحب مصر واعلمه بذلك
فان وافقك على شي من ذلك رعا ان يمكنك ان تفعل
ما قلته والا فلا قدرة لك على عساكر الروم وكثرتهم
وبترانهم فضل بسبب ما تقدم فقال لهم انما كان ذلك
من السلطان سليم واما هذا ولد صغير وليس له قدرة
على فعل شي من ذلك ولا اظنه يتم سنته في المملكه
وما علم انه يقيم في الملك ما يقارب الخمسين عاما
ثم ارسل اعلم خيربك عما في ضميره فارسل له خيربك
جوابا بان لا يفعل شي من ذلك فلم يقبل من خيربك
شي من ذلك وسولت له نفسه الخبيثه بان يتسلطن
وارسل لخيربك ثانيا يقول له ان لم تطعني على ذلك
والا جردت عليك وحاربتك اماتي واماتك فلما
راى خيربك منه الجد ارسل اليه خادعه وتقول له اذ كان
ولا معول على ذلك اذهب الى حلب وخذها فان ملكتها

كنت انا مساعدك فيما تريد وموافق لك على ما تقول
فلما جاله الجواب فرح بذلك وارسل خلف سيدي محمد
بن توقماتي وقال له انظر مكاتبة الامير خاير بك ملك
الامرا الذي تقول انه لا يوافق على شي من ذلك قال له
انما خادعك به لما ان راي سنك الجد ولكن ان قبلت
راي اترك هذا الكلام عن بالك واقعدني خالك
فقال له الذي ظهر لي منك انك بجل بابي ابن ناس
وزير مثلي في العز والدلال اقعدانت في الشام واحفظ
المملكه الي ان ارجع اليك وتنظر الرجال كيف تفعل
فقال له ها انا قاعد لك هنا واذهب حتي انظر كيف
تصنع وما اخوفني عليك ثم ان الغزالي امر بالتجريد
على مدينة حلب ولفق له عساكر من كل جنس من عرب
ومن جركسي ومن كرد ومن دروز ومن سفل العالم
او من لا خير فيه وخرج من دمشق في ابهة عظيمة من شر
ادي الناس ومن لا يرجي منه خير فلما وصلت الاخبار
الي

192

الى نايب حلب بان الغزالي جمع له جموعا من كل جنس حتى
على نفسه من ذلك فانه كان اميرا من صناجق السلطان
سليم روميا لا قدرة له على ملاقات تلك الجموع فما شاع
الا كتب بذلك كتابا وارسله مع عشر جاويشيه الى
السلطان سليمان بان يرسل له عساكر ترد الغزالي والا
اخذت مني حلب فها انا محاصر الي ان يريد الله بامر
ثم عند ذلك امر السلطان ايانى باشا الذي كان اغات
الانكشاريه مع السلطان سليم حين اخذ مصر من الجراكسه
وايضا له معرفة تامه بالغزالي وخيربك يخرج من
مدينة اصطنبول الي حلب ومعه خمسة الاف انكشاري وشهم
اسباهيه ومن الزرزطانات ف الالات الحرب يعنى
هذا ما كان من امر ايانى باشا واما الغزالي فانه كان
قبل خروجه من دمشق منع الدعا للسلطان سليمان
من الخطبة والسكة باسمه وتسلطن واطاعته العساكر
واهل الشام وخطب له على منابرها وامر بالزينه تزينت

بزينه لم يعمل بتلها مدة سبعة ايام وامر بالزينه الى مدينه
حلب كما تقدم فلما وصل اليها وخرابوابها قد قفلت
وطلعت العساكر على صورها فلما قرب منها رموا عليه بالمدافع
والاحجار فامر باقامة لحصارها فملكت ايام فلم يقدر على
اخذها ودخل عليه الشتا ودخل عليه البرد فما ساعه الا
الرحيل عنها ونوي انه اذا جا الصيف يرجع اليها ولا
يبرح عنها حتي ياخذها طيبه او غصبيه فلما امر
بالرحيل عنها اخذت عساكر حلب واهلها في شتمه وسبه
ولعنه وهو يسمع كلامهم وصياحهم وضحكهم عليه ورجع
مخزيا مشتوما مطرودا فلما رجع الى دمشق تفرقت تلك
العساكر الي بلادها وقد دخل عليهم الشتا وقاسوا من
البرد والمطر ما لا يوصف واما الغزالي فانه ضاق صدره
وخابته الاخبار بان باشة حلب قد كتب للسلطان
سليمان كتابا واخبره بما فعلت وكانت عساكر الروم
وهم قاسي في البلد مع ايات اغا وما هم منتظرين الا ذهاب
الشتا

الشتا ودخول الصيف وباتوا البك في عشا امر سد
الارض فانظر كيف تصنع وان تمكنت من الهروب فاهرب
وكان المرسل له ذلك الخبر رجل من اصحابه من اهل حلب
وسه رايه في ما فعل فعند ذلك اضطرب حال الفرالي
وندم على ما فعل حيث لا ينفعه الندم وكتم ذلك في
سره وبقي حيران في نفسه كيف يصنع ان هرب ما يسهل
عليه ترك بلاد الشام وان اقام لا قدرة له على ملاقاة
الاروام وقد تشتت تلك الجموع الذي كان جمعها من بلادها
وايضا انه كان قبل ذلك لما ان اراد ان يتسلطن دبر حيلة
وطلوت بيره وهو انه امر بعمل مولد وبالغ في عمله وامر
بان تحضره جميع عسكر دمشق الذي كانوا مع السلطان كلهم
وابقاهم في دمشق مع الغزالي من الانكشارية والاغاو ت
وغيرهم فلما اجتمعوا عنده مد لهم سماطا طويلا لم يعمل
مثله وجلست الاعيان في اعلا السماط ثم من دونهم بالترتيب
اخر السماط والتهوا في اكل الطعام فكانت مماليك الغزالي

واتباعه واقفين صفين خلف الذين ياكلون علي السماط

وكل واحد منهم سيفه تحت ثيابه المحدبة فعند ذلك سطور

اشار اليهم فخطوا ايديهم في الاروام الذين علي السماط

ثم اشتغلوا بالقتل الاروام مقطوعه حتي وقعت روسهم في

الطعام ولم يفضل منهم ولا واحد فقتلوا اجمعين علي

السماط وبقي السماط كله زويني وتلف الطعام من

رؤس القتلي فامر باخراجهم بر دمشق تاكلهم الكلاب

والحداة والغربان فلما فعل ذلك صفيت له دمشق

ولم يبقي عنده من يعارضه فيما يفعل فعند ذلك تسلطن

كما تقدم ولا زال في هم وغم حتي انترك الشاو دينت

الدنيا جاته الاخبار بان اياس باشا قادم عليه في

عساكر لا تحصي فازداد غما علي غمه وامر بالخروج

لملاقاة العساكر وقال الناس تحيي واما بحتنه ذلكنه

ندم علي ما فعل فان الاحمق يسعي في هلاك نفسه

وهو لا يشعر واما اياس باشا فانه لما وصل الي حلب

خرج

خرج نايب حلب اليه وقابله واخبره بما فعل من قفل
ابواب حلب وانهم رموا على الغزالي من اعلا السور وانه
حاصرهم ثلاثة شهور ثم دخل عليه الشتا ورجع الى دمشق
وحكي له جميع ما وقع فشكره اياس باشا على فعله واخلع
عليه وعلى اغاوات الانكشارية التي بحلب ثم وصل دمشق
والتم عليه عساكر من برنا طولي لا تحصى فانه في كل مدينة
دخلها ياخذ منها جماعة الى ان صار في جيش عظيم
فلما وصل الى ظاهر دمشق ارسل خاونشا بكتاب لقتل دوي
الغزالي بانه يتاهب للحرب والقتال واخذ يوبخه ويحط
عليه ومن جملة ذلك يقول له فانك لو كان فيك خير
كان لابنا جنسك كيف يكون فيك خير لغير ابنا جنسك اعما
هذه نيتك الخبيثة انقلبت عليك فلما وصل ذلك الكتاب
الى الغزالي وقراه زاد غما على غمه وضاقت به الدنيا
ولم ينم تلك الليلة وحس بزوال النعمة فنا ساعة الاتاهب
للقتال وقد تحقق انه لا خلاص له من ذلك فلما طلع

امر باقامة الحرب ودق طبل حربه ووقف عسكره ميمنه
ومسيره فما تم ذلك وقد اقبلت عساكر الروم صفوفا ووقف
ايانس باشا والتحم القتال فامر ايانس باشا للرماه ان لا
احد ايرمي فحطم الغزالي علي عسكر الروم حطمة شتتهم فيها
وصار يقاتل قتال من ايس من الحياه وقتل من الروم
مقتلة عظيمه فلما راى ذلك ايانس باشا علم انه لا قدره له
عليها الا برمي البندق فامر الرماة ان ترمي فما شعر الغزالي
الا والدنيا قد انقلبت وانطبق الجو من الدخان ودنا كانت
الا ساعه حتى ذهبت تلك العساكر والجموع وما سلم منهم
الا كل طويل العمر ونجا الغزالي واقفا لا يعرف كيف يصنع
ولا اين يذهب فالتفت فوجد صحفه واقفا وليس عنده احد
فجا الي حامل الصنجق وكان شابا شجاعا اسمه علي بالي رباه
الغزالي من صغره لكن ليس هو جركسي فلما راه الغزالي شجاعا
قربه اليه حتى جعله حامل اللوايه وكان يصيح ويقول البا
علي هذا عندي اعز من قلبي وما علم ان هلاكه يكون
علي

135

قال له وما الذي صار من
الامر الا انا كل الذين يريد
روحه فما ينكره احد في ذلك

على يديه فلما راه واقفا والصبحي بين يديه قال له يا ولدي
وانا مني وانت واقف وعساكرنا كلها هلكت ونتنت وقال له
ما بقي لنا الا الفرار من هذا العسكر الجرار فقال والله
ما عملت بنا خير وما اضرك لو كنت باقيا على ما انت عليه
امنا على بيتك وانت كنت سلطانا مخفيا قال له ما كنت اظن
ان الامر يجي هكذا فقال ان العارفين قالوا من لم يحسب
العواقب ما الدهر له بصاحب قال له يا ولدي ما بقي الكلام
يغنيك شي ولكن اقلع من عليك ريحك وصوفك في بحلاه وارمي
الرمح والمخلاة اذا الكمين العادلي قد عنا ننزل عن خيلنا
ونترك لبسنا وننجوا بانفسنا ثم ان الغزالي نزل عن فرسه
ونزع ما عليه من لبس الفولاذ الذي لا نظير له وبقي بطاق
القميص وراسه بكشوفه وكانه قد تدلي ولطخ وجهه بالتراب
وصار كانه مدفون ناد طلع واما على باي فقال له ليس
عندك من الراي لو كنا على ظهر خيلنا كنا هربنا ونجينا
نفوسنا او ننزل علي بعد يجي امتنا واما نزولنا في محل المعركه

لافايدة فيه ان علي ركب فرسه واخذ عدته وهم بالهروب
فقال له الغزالي هكذا يا علي تذهب وتخليني للعدو فقال له
ما الذي تصنع انا قلت لك افعل بنا هذه الفعال فخال المجانين
فهم في هذه الحاله وقد انجلا الدخان ونظرت الناس بعضها
واذا عنادي ينادي بين الناس كل من جانا بالغزالي
او براسه اذ دلنا عليه اعطيناه جميع ما يختاره فدلى علي
فرسه واذا بهم طايفة من السلحداريه والانكشاريه قد وصلوا
اليهم قال لهم انا ادلكم على موضعه قالوا له اين هو قال اعرف
محله وهو بالقرب منكم ولكني ما ادلكم عليه حتى تعاهدوني
فقالوا له لك منا ما تريد فقال لهم اتبعوني وقصد الغزالي
وهو يرمز كما تبع الفرند ليه ويقول هو وقصد بذلك حيلة
منه ليلا يعرفوه فقال لهم يا علي هذا الفرند هو الغزالي
فقالوا له انت تحرت يا فاعل يا تارك واخذوا الشمر
وبسيره وهموا بقتله فقال لهم امهلوا علي انا ابين لكم ان لم
يكن هو الغزالي والا تكن راي عوض كلامي فقالوا ان الغزالي

محمد بن ترجمان صح وكن طابعين السلطان سليمان وكذلك يجري
وانا من اولاد الناس وانا الذي لبث خامل صحبته
قالوا له لك ذلك قال ان اكون صحبي فانا الذي

كان

136

كان بالة حربة كانه جبل من حديد قال نعم وهو يهدد
كالمجاذيب وهو يقول هو فقالوا له بعد ان قضوا عليه انت
الغزالي فقال لهم انا درويش فقير عريان ومن اين لي ان اكون
مثل الغزالي فتحيروا في امره وعلي بالي يحلف ويقول لهم لا تصدقوه
ولكن تعالوا انا ادلكم على فرسه ولباسه فنم علي ذلك الكرم
العالي فاخذهم وذهب بهم اليه فاذا السيف كله وصحفه
مدفونين في التراب فطلعوه وراوه وعرفوه فقال لهم كيف
تصدقوا ذلك الكذاب ثم انا رجل درويش فتحيروا في
في امره قال لهم علي بالي انا اقطع راسه واذهب الى اياس
باشا فانه يعرفه واذا لم يكن هو والا اتيني راسي عوض راسه
وجذب سيفه وضربه اطاح راسه ثم انه اخذها وقال
لهم انا واياكم الى اياس باشا واخذوا معه جميع عدته فلما وقفوا
بين يدي اياس باشا تقدم ذلك الاغا واخبر اياس باشا
بما وقع فقال لهم هاتوا الراس انا اعرفها حتى انظرها
فلما وضعوها بين يديه قال هذه راس الغزالي لا شك

ثم قال لهم ابن الذي دلكم عليه فقالوا هذا الرجل فاخبرهما بجميع ما فعل
الغزالي فعند ذلك خلع عليه وعمله امير صنجق وكذلك كسرى
محمد بن تومتاي ومن غريب ما وقع في قتلة الغزالي انه وقف
رجل على باب الجامع الازهر ونادى باعلا صوته يا جماعه
ان الغزالي قتل اليوم وما تصدقوني اكتبوا تاريخ ذلك اليوم
فكان كما قال فما مضى الا ايام قلايل جات البولاقية من عند ايابي
باشا الي خيربك ان الغزالي قطعت راسه في اليوم الفلاني
وكان العاشر من شهر الحجه الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمايه
ثم ان ايابى ارسل راس الغزالي الي السلطان سليمان سمع البولاقه
تزينت البلاد وحصل السرور وارسل الجواب لايابى وشكره
وامره بان لا يمكن احد من ظلم احد واقامة الحدود واما خيربك
فانه لما بلغه قتل الغزالي تكدر عيشه واوصى واعتق مماليكه
فقالت له زوجته وكانت تسمى خوند مصرباي وكان تزوج بها
قبله الملك الناصر محمد بن قايتباي وبقيت عازبة مده الغوري
الى ان تولى خيربك فاخذها فانه كان البس له في السار اضخم
منها

سنها

وكانت جيده كاتبه خازندار عماشي دولت باي فقال الجمالي

وما ثم العام الاول وقد مات خيربك نغرخ جم ودفن بتربته التي

عمرها في طريق القلعة عند باب الوزير المعروفه بالخير بكيه وكانت

الناس تسمع صرخه في القبر حتى صحب من ذلك ثم كانت موتته عبره لمن اعتبر

وهكذا الدنيا تفعل باهلها ثم ان السلطان سليمان شرع في التوجه

الي غزاة جزيرة رودس فانهم كانوا اقوي بابهم وقوي عوت

والده وطمعوا في احد بلاد المسلمين وظنوا ان ولده لما لا قدرة

له علي الحرب فاظهر الله منه العزم والانصاف فخرج بنفسه وقد كان

السلطان ارسل لخير بك ان يرسل له رايه العقاب وهي راية رسول الله

فارسلها له وارسل من شباب مصر نحو الفين بركب وجد السلطان

في محاصرة رودس فلما عجز ملكها وعلم انه لا قدرة له على ذلك

كتب ورقه ورمى بها في عود نشاب فجاب في طاق الاعظم مصطفى الوزير

ان سلطان رودس يريد لنفسه وماله وعياله الامان فامنه

السلطان كما طلب وتزل علي جزيرة مالطه اخذها عنوه وهي الي

الان في يدهم ونرجع الي نيابة الحديث ان خاير بك لما نادى

من تولى بعده قاسم باشا الكزك وكان عنده لين في حكمه وكان كاشف
الفيوم والبهنسا جانم المذكور سابقا وكاشف المحلة اينال الطويل
وهم الذين غزوا علي حسن بن مرعي وابن عمه وقتلوه فاتفقوا علي العصيان
وانهم يعزموا يأخذوا المملكة من الاروام فوصل خبرهم الي
الباشا فجمع الباشا العساكر والصناجق وقصد ان يجرد عليهم بنفسه
وطلع القاضي موسى بن بركات الي الباشا وقال له يا مولانا لا تعجل
هم اكتب لي كتابا بالامان وانا اجيبهم لي عندك فقال له احق
ما تقول قال نعم فكتب لهم فاخذ المكاتيب وفيهم الايمان ان الباشا
لا يضرهم فلما نزل بركات ابن موسى واجتمع باينال فقال له ما جابك
يا قاضي قال لو جيت في امر عسير يصير يسير واخذ يخادعه بالكلام
وقال له سأذكر لك ما جيت فيه فقال له اينال انا اعرف ما جيت
فيه انك تريد الصلح بيننا وبين الباشا مصطفى وتريد ان
تخادعنا وتقتلنا وتصير انت مشكورا يا كلب يا ابن الكلب نثر
اخذ يلين له بالكلام فقال له تكذب فقال له ان الباشا حلف
انه لا يضركم فازداد غضب اينال وقال له يا اسود غشيتنا كولا

مدد على من ارتاب في الرجال وسار ودال الاثنين ... حاربنا ثمانية وتسعين وطلعنا ... فلما ... الصلطان ... وهذا ولد ...

198

ثم انه قال ديروا كتابه نادا روها وخرج به من الخيمة حافي مكشوف الراس

قال له اينا الم نقطع راسك الا انا ثم ضربه ازال راسه عن جسده ثم

ان الامير جانم قدم علي الامير اينال ثم اجتمعت الجراكسه الذي تخلفو

وقد التم عليهم شي كثير من عرب وغيرهم فلما اجتمعوا قالوا ما تريدو

قالوا اما نحن نريد الا الحرب واما مصطفى باشا فانه امر بتجهيز العسكر ونا

نادى لمن خرج موكي اغانا لانكشاريه ثم سليمان اغا التفكشيه

وارسل معهم من الزربطانات نحو المايه ولم يرسل بلك الجراكسه

فلما قاربوا العدو وارسلوا يقولوا في غد الحرب فلما اصبحوا

بادروا الي القتال والطعن الى نصف النهار فجاءت الجراكسه

في لنزه النيران والحش جانم في القتلى الي وقد عثر فرسه في شق

من الارض كرت رجله من فوق من علي ظهره وطلب جنبا يركبه فلما راته

العساكر حطوا عليه وضربه واحد اطاح راسه عن جسده فاخذها

ورفعها علي رمح ونادي باعلا صوته جانم قتل فلما سمع اينال

ذلك هرب الي غزه ورجعت العساكر منصورين ثم امر بتعليق الراس

علي باب زويله ثم امر بها فانزلها الي السلطان سليمان ان الله نصره وما وقع

فشكره على ذلك وارسل له قفطانا ورفع جميع العساكر وكان
مع ايا الطائفة مرصوده اذا الليها لم ينظره احد فلبسها وهرب
وكان الوزير الاعظم احمد باشا فعزله السلطان وولى
ابراهيم باشا وزير اعظم ثم انه قعد في بيته وهو غضبان الى ان
ارسله الى مصر باشا فعصى على السلطان وتمرد وقتل في ايامه
باميه الجراكسه حرقوا بالنار وقصتهم مشهوره مع الانكشاريه
وطلوع المدافع من الرداب الذي عصر القديمه ومقتلهم الانكشاريه
وكانت المبايعه له في بر الجيزه فقتلوا عليه الانكشاريه بباب
القلعه وحاصروهم الى ان غلبهم واهلكهم اجمعين وصارت جميع
الخواجات وصار يضربهم قارع وكساوات اوكانت تحمل ابن السر ابي
وقفوا ادوقعد ثوبته ايام وشنقه وحبس جاء الحمزاوي ظلم العباد
الى ذان يوم نزل الحمام الذي في المراغه وكان هناك صبحي
يسمى محمد بيك تلبي عيته واخذ معه السكين وصار ينادي ويقول
الله ينصر السلطان من جانا عليه الامان حتى التم عليه عسكر جماعه
الى ان وقفوا له على باب الحمام وطلع من السطوح الى المستوقد وخرج

الي ان خرج من بين العسكر الي ان طلع القلعه فلما ان كان الليل خرج
رحل بهما الليله الي ان وصل الشرقيه الي احمد ابن بيتر فلم يحرره ان ينتصر
فلما اصبح الصباح جات العسكر فوجدوا القلعه فاضيا فما فيها احد
تذكروا لهم بعض الناس انه ترامي علي عرب السيار فاستقصوا
خبره فذلك سار جانب الحمراوي ضرب الحمراوي وكبسوا الكور
الي ان حصلوه وعاينوه عيانا فهربت جميع عسكره الذي معه فضربوه
واحد قطع راسه وارسلوها الي السلطان معهم بوابكه فرحانين بها
وكان السلطان ارسل ابراهيم باشا الي مملكة الارض من كل جيش
فاخذ معه من الاعيان اغات الانكشاريه احمد اغا والامير
مصطفي بن جلال وجانبهم خلق كثير فصادفوا الوالي في الطريق
ففرح ابراهيم باشا بذلك وقال للاميران اذهبا الي مصر وانظرا ما
وجليبها موقوفه علي العلما وامر سليمان باشا يعلمه علي مصر واخذ معه
الحمزاوي فانه كان تكلم معه بسبب ما امصار التي يتجدد في كل عام ما
اعمل به وقال له اعطي العساكر جوامكهم علي التمام من غير اسراف وما بقي
صيفه في بيت مال المسلمين لوقت الاحتياج اليه فبقي الامر علي ذلك الي ان جا

ابرهيم

وارتب امورها وجد في السير الي ان وصل الي الشام لاغاة سليمان
سلم لما اخذ سليمان باشا فكان نهضا له ولاه باشي موضع الغزالي فقال له ابراهيم باشا
قال السلطان [illegible] مصر من خيرته الجركاسيه اضلك باشة مصر فان يحيى بن الجنزاوي خط احتار من مال زندي
يا مولانا المال الذي يتجمع [illegible]
ما افعل [illegible]

باشا كما تقدم ثم رجع ورجع معه جانم الحمزاوي واجتمع ابراهيم
باشا بالسلطان واخبر بجميع ما فعل وحسن له عمارة بلاد جانص
بالمحر ضايع تتصرف فيه الكتبه وسلي في امور لاطايل وقصدا هذا
المال وارساله في كل عام اليك لتصرف علي عساكرك وفي مصالحك
من عمارة وغيرها فامر السلطان سليمان ان يكون جانم الحمزاوي
دفتردار علي ذلك من غير ظلم ويضبط علي وجه الانصاف وذلك
سنة ضبطه فجات سبعة احمال وفي ثاني سنة جابت ثمانية احمال
وحصل للسلطان بها نفع عظيم ولما رجع سليمان من الهند رجع حضر
باشا واقام سليمان مده سنين ثم عزل وتولي مصر داود باشا الطواشي
وكان من اهل الخير والدين والصلاح واقام بها الي ان مات
ودفن بالقرافه بالقرب من تربة القاضي بكار رحمه الله تعالى رحمة
واسعة فانه كان من اوليا الله تعالى والصلاح شاهد له وهو اخر
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وكان الفراغ من هذه
القصه يوم السبت المبارك رابعة عشر من شهر جمادى الاول من شهور سنة
اربعه وثلاثين والف كتبه الفقير الى الله تعالى احمد
ابن الفقير محمد البرديني بلدا الشافعي مذهبا غفر الله
له ولوالديه ولمن يدعوا له بالصلاح امين
والحمد لله وحده

[illegible]

[illegible]

